حوار مع الشيخ الشعراوي



المختار الإسلامي

أحمد زين

حوار مع الشيخ الشعراوى

المختار الاسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - ص. ب ١٧٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مقدمة

لمـاذا أجريت هذا الحوار ...

في كثير من الأحيان تحدث في حيـاة الانسان أشياء لا يستطيع أن يفهمها .. أو يعرف مدلولها الا بعد أن تحدث بفترة طويلة .. حينئذ يحس أو يعرف لماذا وقع هذا الحدث بالذات .. أو ما التي جعل ما أسماه صدفة .. تتم بالصورة التي تمت عليها .. ومنذ عدة سنوات .. ومنذ ثماني سنين على وجه التحديد .. عنـدما بدأت أكتب في اليوميات عن الناحية الدينية اصطدمت بمئات الخطـابات التي أوضحت لي ما يعانيه الشباب في مصر .. وخصوصا شباب الجامعـة من تمزق وحـيرة .. بسبب عـدم الفهم الحقيقي لبعض الأمور الدينية التي صور لهم خطأ أنه يوجد تنـاقض بين الدين والعلم .. وبين الدين والتقدم .. وبين الدين والحضارة .. واستغل بعض الناس الذين يهمهم هدم كل القيم في المجتمع .. استغلوا هذه المفاهيم الخاطئة .. ليلصقوا تهمة التخلف بالدين .. ويضخموا التناقض الذي يدعونه ويأتوا بنظريات علمية خاطئة وغير ثابتة .. وغير يقينية ليواجهوا بها القرآن .. ولقد أدى ذلك الى عكس ما كانوا يريدونه .. فبدلا من أن تنهار القيم وينصرف الشباب عن الدين .. ازداد الوعي الديني التهابا عنـد الشباب .. وأصبح هناك ما أسـميه « باجوع » الى التفسير الديني السليم الذي يشبع الشباب.. ويزيل التناقضات من نفوسهم .. كانت هناك حاجة شديدة

الى تفسير عصرى للقرآن تدخل الراحة الى صدور الشباب.. ولقد استمعت الى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى مرات فى التليفزيون .. ومرات فى اذاعة القرآن الكـــريم .. ثم التقيت به مرة عند معالى الدكتور عبده يمانى وزير الاعـــلام السعودى .. وجاء الى خيمتى مرة أخرى .. عندما أصبت بأزمة صحية أثناء الحج .. وأحسست أن الشيخ محمد متولى الشعراوى يحمل حلا حقيقيـــا لمشكلة الشباب الحـــائر .. فمنهجه القرآن وتفسيره عصرى .. وحجته قوية .. ولا يهاب المناقشات ..

وعندما عين الشيخ الشعراوى وزيرا للأوقاف .. كتبت فى يوميات الأخبار .. قلت انني أتمنى ألا يصرف منصب الوزارة الشيخ الشعراوى عن الدعوة .. ذلك ان مهمة الدعوة الاسلامية هامة فى هذه الفترة التى تتصادم فيهـــا المدنيات وتتصارع الافكار .. ويحاول الالحاد والكفر أن يأخذا طريقهما الى القلوب .. بل اننى أجريت حديثا أخذ صفحة كاملة فى الاخبار مع الشيخ الشعراوى وسألته فيه هذا السؤال .. وقال الشيخ الشعراوى : ان الوزارة لن تشغله عن الدعـــوة الدينية .. وأنه مقتنع انه يستطيع تنظيم العمـــل الروتينى فى الوزارة خلال أشهر .. والتفرغ للدعوة .. وخلال هـــذا اللقاء قلت للشيخ الشعراوى اننى أتمنى ان أجرى معه حوارا حول أهم ما يشغل الناس من المشاكل الدينية .. ولنبدأ هذا الحوار .. ونخصص له الصفحة الاخـــيرة من يوم الجمعة فى يوميات الأخبار .. وبدأنا الحوار منذ ثلاثة شهور .. وما زال مستمرا حتى الآن ..

أحمد زين

تفسير القرآن

عندما نتحدث عن تفســـير القرآن ·· فان الرأى عادة ينقسم الى فريقين ·· فريق يقول : أن التفسير فى عهد النبى والصحابة ·· هو تفسير نهائى غير قابل لأى اضافة ·· وأن الاضافة فيه هى نوع من تحميل القرآن الكريم أكثر ممـــا يحتمل ·· وتعريض كتاب الله الى نظريات علمية أرضية قد يثبت عدم صحتها بعد عشرات السنين ·· وفريق آخـــر يقول : أن القرآن له عطاءان ·· عطاء الفروض والأحكام ·· وعطاء آخر فى معجزاته ·· فعطاء الفروض والأحكام واضح لا لبس فيه ·· والتفسير الذى حدث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ·· ملزم حتى تنتهى الأرض ومن عليها ·· أما معجزات القرآن فهذه يزداد لها العالم فهما ·· كلما تقـــدم العلم كشف الله للناس عن آياته فى الأرض ·· ومن هنا فان عطاء القرآن فى هذه الناحية هو عطاء متجـــدد ·· لا ينتهى أبدا ·· أعطى الأجيال التى قبلنا ·· وسيعطى الأجيال التى بعدنا ·· وله عطاء مستمر لا ينتهى الا بقيام الساعة ·· ومن هنا فان المعجزة مستمرة ·· ونواحى الاعجاز فى القرآن فى كل عصر وزمان ومكان موجودة ·· والأيام القادمة قد تكشف تفســـير لبعض الآيات نكون نحن عاجزون عن فهمها الفهم الصحيح ··

وخلال الشهور الماضية ·· كانت لقــاءاتي كلها مــع الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ·· تتناول ناحية تفسير القرآن ·· ذلك أننى أحس أن هذا الرجل قد أعطي من العلم والبصيرة ما يجعله يستطيع تبسيط معانى الكتاب الكريم ·· لتدخل الى كل عقل ·· والرد على كل ما يثار ضـــد الاسلام من مفكرين ·· وشرقيين ·· وغربيين ·· يحاولون بقدر الامكان تشويه هــذا الدين ·· والنيل منه بالباطل ··

وقلت للشيخ محمد متولى الشعراوى : أن هناك أسئلة حائرة فى أذهان الشباب لا تجد لها التفسير الذى يتلاءم مــع مفهوم العصر ·· ولقد قدم بعض المفكرين باجتهـــادات فى التفسير ·· بعضـــها أجاب على أسئلة ·· وبعضـــها جانبه الصواب ·· ولكننى من متابعتى لأحاديثك كل ما تقوله أرى أنك أكثرهم التزاما ·· ودقة فى التفسير ·· واننى أتمنى أن تقوم بتفسير للقرآن يطبع ويوزع ·· لأن هذه خدمة جليلة للدين ·· معنية للشـــباب عـلى ألا ينحرف ·· وتجـــرفه التيارات المختلفة التى تزين له الدنيا ·· وتزين له المعصية· وتصور له الدين على أنه تخلف وسلفية ورجوع الى الماضى ·· وبعد عن الحضارة وأفيون للشعوب ·· الى آخر هذه التعبيرات التى يحاول كل من يحارب هذا الدين أن يلصقها به ·

قال : اننى خلال لقاءاتي التى قمت بها أحسست بقوة الدين فى نفوس الشباب ·· وتعطشهم لتعلم دينهم ·· وهذه

بشرى تجعلنا نؤمن أن الخير قادم ·· ولقد مر وقت كان فيه العلماء يهانون ولا يكرمون ·· والآن ·· فان علمـــاء الدين يكرمون فى كل مكان ·· وهذه بشرى ثانية ·· وهذا متمشى مع طبيعة شعب مصر ·· الذى أعطى فيه النبى الحكم من قديم فى حديث شريف ·· أن أهل مصر فى رباط الى يوم القيامة ·· ومعنى ذلك أن الخميرة هنا ايمانية ·

ولذلك يجد الناس الذين يحـاولون اخراج الدين من وجدان هـــذا الشعب وكيـانه ·· أن محاولاتهم فاشلة ·· وعليهم أن يريحوا أنفسهم ··

والذى أحب أن أقوله أن العلم واسع ·· وواسع جدا· ولكن السلوكية هى القليلة بمعنى أنه غالبا ما تستطيع أن تعطى النتائج ·· ولكن قليل جدا وقليل أولئك الذين يعطون القدوة فى السلوك ·· بمعنى أننى أريد ممن يقول كلاما ان يطبقه أولا على نفسه ·· اننا فى عصر جرب فيه العالم كل شىء ·· جرب فيه جميع النظريات والأشـــياء التى تعرضها الدنيا ·· وتبدو براقة ·· ووجد فيها الشقاء والتعاسة ·· وبدأ يعود للدين ·· ولكن العودة للدين يلزمها القدوة فيمن يقدمون النصيحة ·· أو كما قلت أن يطبق الانسان ما يقوله على نفسه أولا ·· ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ·· أنا لم آمركم أمرا أنا عنه بنجوى ·· وأنا عندما يأتينى رئيس عمل ولا أراه متميزا عنى الا بالشـــقاء فى عمله ·· وبكثرة العمل ·· فاذا طلب منى أى شىء فاننى أقوم به فورا وبطيب

خاطر ٠٠ ذلك أنني أحس أنه غير متميز ولا بكثرة مسئولياته ٠٠ وهو فى هذا يعطينى القدوة السلوكية التى طالب بهـــا الاسلام ٠٠ والاســــلام دين الحق ٠٠ ولقد قال لى أحـــد المستشرقين الذين اعتنقوا هذا الدين ٠٠ لقد درست الاسلام ووثقت أنه رسالة الحق ٠٠ وأن محمدا رسول الحق ٠٠ لشىء واحد فكل كاذب له هدف من وراء كذبه ٠٠ والهدف من وراء الكذب لمن يدعى أنه رسول ٠٠ انه يريد أن يسيطر أو يحكم هؤلاء الناس الذين يدعوهم الى الدين الجديد ٠٠ والا فما هو الهدف الذى يسعى اليه ٠٠ ولقد عرض على الرسول فى أول أمره بدون تعب ٠٠ عرض عليـــه الملك ان أراد ٠٠ فرفض وعرضت عليه الثروة والجاه والسلطان ٠٠ وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه ٠٠ كل ذلك وهو فى أول الطريق ٠٠ ولكنه رفض هذا كله ٠٠ اذن الغلبة التى يكذب من أجلها رفضها من أول الطريق ٠٠ وأحيانا تكون المثل عند الانسان أكبر من حجم الدنيا ٠٠ لأنه لم يذق حلاوة الدنيا ٠٠ ولكن بعد ذلك حينما تدخل الدنيا عليه قد تغير من مثله وقيمه ٠٠ بعد ذلك جاءته الدنيا وليس لنفسه فقط ٠٠ وانمـــا له ولذريته ٠٠ فقال : لا لنفسى ولا لذريتى ٠٠ لا نورث ٠٠ ما تركنـــاه صدقة ٠٠ واذا كان هذا خلقه ٠٠ فلابد أن يكون صادقا ٠

تحليل آخر أعجبنى ٠٠ لسيدة أسلمت قالت اننى قبل الاسلام قرأت كثيرا عن هذا الدين ٠٠ ووجدت أن محمـــدا كان يحرسه أصحابه مخافة أن يعتدى عليـــه ٠٠ فأتى يوما وقال لحراسه : اذهبوا عنى فقـــد تكفل الله بحراستى ٠٠

مصداقا للآية « والله يعصمك من الناس » فلو أن هذا الرجل يخدع الناس جميعا ما خدع نفسه في حياته ‥ وما عرض نفسه للعدوان عليه ‥ ولو لم يكن واثقا من أن الذى قال له هذا الكلام هو الله سبحانه وتعالى ‥ وهو قادر على أن يحميه ويعصمه ‥ لم يكن يفعل هذا ‥ هذه أشياء نمر عليها نحن ‥ وقد لا نلتفت الى تلك المعانى ‥ ولكن سيدة دارسة استخرجت منها هذا المعنى العظيم .

وقصة ثالثة ‥ عن رجل مستشرق شهر اسلامه ‥ انه يقول : أن الناس الذين يكذبون محمدا فى أنه رسول ‥ ويقولون أنه أتى بالقرآن من عنده ‥ ويضيف أننى أتحدى أن توجد عبقرية تصنع لنفسها ثلاثة أساليب ‥ أسلوب يقال عنه القرآن ‥ وأسلوب يقال عنه حديث قدسى ‥ وأسلوب يقال عنه حديث شريف ‥ ويعزل هذا الأسلوب عن هذا الأسلوب بدقة متناهية بحيث أنك عندما تسمعه تميزه وتقول هذا قرآن ‥ وهذا حديث قدسى ‥ وهذا حديث نبوى ‥ لا أحد من البشر يستطيع أن يصنع لنفسه هذا ‥ ثلاثة أساليب متميزة ومختلفة بهذه القدوة والقدرة .

وكثير من الناس يريد أن يناقش الدين والقرآن بشكل عقلى ‥ ويترك الأساسيات ليبحث عن أشياء يضيف اليها ويستخرج منها اساءة للدين ‥ ومن بعض هؤلاء الناس أعجب وأعجب كثيرا لأن سلوكهم مع البشر للأسف الشديد يختلف عن سلوكهم تجاه الله ‥ فأنا اذا مرضت مثلا ذهبت

الى الطبيب ليعالجنى .. فأختار أبرع الأطباء وأكثرهم شهرة وخبرة فى علاج هذا المرض .. وعنــدما أثق فى الطبيب وخبرته وسمعته .. أذهب اليه .. فيكشف على ويقول : أنت تأخذ وتتناول دواء كذا وكذا .. وأنت تأكل كذا ولا تأكل كذا .. وآخذ هذا قضية مسلمة .. فاذا جاءنى صديق يزورنى .. وسألنى ما هذا الذى تتناوله بعد الغداء أو بعد الطعام .. أقول له : أن هذا دواء قد كتبه الطبيب لى ... فلا يناقش ولا يتكلم .. وانما يسلم بالأمر .. فاذا كان هذا يحدث مع الطبيب وهو بشر .. فماذا يحدث مع الله سبحانه وتعالى .. اذا كنا متأكدين من وجوده .. فلماذا نريد أن نناقش كل شيء .

قلت : أنا معك فى هذا المثل .. ولكن بعض النفوس قد تخدع .. وبعض الكلام والمبادىء الذى يوضع فى قالب معسول نقلب هذا الدين قد يصل الى عقول الناس .. وهناك بعض الذين جعلوا هدفهم النيل من هذا الدين بالباطل .

قال : ان هؤلاء الناس موجودون وسيظلون موجودين.. ذلك أن هناك حكمة فى وجود الشر بجانب الخير .. الشر هو الذى يغرى بالخير .. ولذلك تجد أن الوعى الدينى فى بلد مثل بلدنا قد يظل خامدا فترة .. الى أن يهاجم الدين فى أى شيء .. فتجد الشعور الدينى قد التهب .. وهب الجميـــع للرد على هذا الهجوم .. لان الخير لو ظل راكدا فى النفس

بدون ما يهيجه قـــد يبهت •• بدليل أننا مثلا فى بعض الأمراض الذى ليس عنده ميكروب المرض نعطيه له •• حتى نربى فيه المناعة والقوة •• فاذا جـــاء المرض من أى طريق تكون عنده هذه المناعة •• واعطاء الميكروب شر •• ولكنه فى نفس الوقت يؤدى رســـالة الخير فى أحداث المنـــاعد عند الانسان ••

تخلف الدول الاسلامية

كان السؤال الأول : لماذا الدول الاسلامية متخلفة .. بينما الدول الأخرى التى لا تدين بالاسلام أكثر تقدما ؟ .. وقال الشيخ محمد متولى الشعراوى .. ان الاسلام قبل أى شيء هو سلوك .. الانسان المسلم يجب أن يسلك سـلوك الاسلام .. لكن كثيرا من الناس لا يفعلون ذلك .. بل ان بعض المسلمين الذين يعيشون فى بلاد غير اسلامية تجرهم تلك البلاد بعاداتها وتقاليدها .. فيبتعدون عن الاسلام .. وأعتقد أن واجبنا الأول أن نثبت الاسلام فى نفوس المسلمين .. معظم الذين اعتنقوا الاسلام قد رأو القدوة فى السـلوك الاسلامى .. وأحسوا بعظمة هذا الدين .. وما يقدمه من سلوك طيب .. ومنهج كريم للحياة ..

وفى هذا الكون .. هناك أشياء تفعل لك .. وهناك أشياء تنفعل بك .. فالشيء الذى يفعل لك فى الكون يستوى فيه الناس جميعا .. كافر ومسلم .. يستوى فيه الناس كل الناس .. هذه الأشياء هى : كالشمس مثلا .. الشمس تشرق كل صباح ولا تخص بنورها كافر أو مسلم .. أو شاكرا لله .. أو جاحدا بنعمه .. كلهم سـواء .. عطاء الشمس للجميع .. سواء وهى لا تفرق بين شخص وشخص .. والهواء مثلا تتنفسه كل الكائنات الحية دون أى تمييز..

والماء مثلا يشرب منه كل كائن حي بصرف النظر عن دينه وعقيدته وايمانه بالله أو كفره .. هذه الأشياء تفعل لك كثيرا .. الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة .. الى آخر ذلك .. والأكسجين والهواء يعطينا أسباب الاستمرار فى الحياة .. والماء يعطينا الحياة نفسها .. « وخلقنا من الماء كل شيء حى » .. فهذه الأشياء تفعل لك .. وتفعل لك بلا تمييز .. أى أنها لا تميز فى عطائها بين عاص .. وعابد .. ومؤمن .. وكافر ..

نأتى بعد ذلك الى الأشياء التى تنفعل بك .. وارتقاء الانسان فى الكون يتم فيما ينفعل بك لا فيما يفعل لك .. ان ما ينفعل بك ان فعلت فيه ينفعل .. اذا حرثت الأرض حرثا جيدا ثم وضعت فيه البذرة .. ثم واظبت على رعايتها وتوليتها تعطيك ثمرا جيدا .. ومحصولا وفيرا .. ان بحثت عن المعادن الصالحة لحياة الانسان فى باطن الأرض تعطيك معادنها .. ولو لم تفعل فانها لن تنفعل معهم .. فالذين يعملون ويجدون فى الأشياء لتنفعل معهم ..

.. والذين لا يقومون بأى جهد مع الأشياء التى تنفعل للانسان فى الأرض لا يتقدمون .. ويظلون متأخرين .. وهنا يحدث الخلاف بين ارتقاء عدد من الناس .. وتخلف عدد منهم .. يحدث هذا الخلاف فى التعامل مع الأشياء الموجودة فى الكون التى تنفعل بك .. ولا دخل للدين فى هذه المسألة .. فالأشياء التى تنفعل لك .. كالشمس والهواء والماء .. وما فى الأرض .. لا تفرق فى عطائها بين مؤمن

وكافر وملحد ·· والأشياء التى تنفعل بك · والتى يجب أن تقدم لها عملا لتحصل على النتيجة ·· هذه الأشياء أيضا لا تفرق بين مسلم وكافر ومؤمن وملحد ·· فالكافر الذى يحسن حرث أرضه وريها ·· ويحصل على أجود أنواع البذر ·· ويتعهد الزرع ·· يجنى محصولا وفيرا ·· والمؤمن الذى يهمل الأرض ولا يزرعها ولا ينفعل معها لا تعطيه الثمرة ·· لأنه لا يطبق قوانين الكون ·· ولا يعمل لينفعل مع الأشياء التي تنفعل به في الدنيا ·· والملحد أو الكافر الذى يستخدم أحدث الأساليب العلمية ·· ويجد ويسعى ليكشف عن المعادن في باطن الأرض ·· تظهر له هذه المعادن ·· لأنها تنفعل به ·· والمؤمن الذى يترك المعدن فى باطن الأرض ·· ولا يبحث عنه ·· لا ينفعل به ·· ولا يخرج له ·

تلك حقيقة كونية يجب أن نعيها جيدا ··

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ·· ليجذب الانسان الى العمل ·· فما هى الزينة فى حقيقتها ·· هى ما يخلع على ذاتيات الأشياء ليجعلها أكثر جاذبيه ·· فالمرأة مثلا تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل ·· وزينة الأرض هى أن تصبح أكثر جاذبية للانسان ليعمل ·· فالانسان حين يرى حديقة جميلة أو عمارة فخمة ·· يتمنى أن يبنى أو يعمل مثلها ·· فتكون هذه الزينة حافزا له للعمل ·· فكأن الله قد جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبنى اليها ·· ثم بعد ذلك هل تكون هذه الزينة هى الغاية ·· أم لا تكون ·· وهنا

الابتلاء •• ويقول الله سبحانه وتعالى : « هـــو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » •• معنى استعمركم •• أى طلب منكم عمارتها •• وذلك لا يتـــأتى الا بأمرين •• أن تبقى الصالح على صلاحه •• لا تفسده •• وأن تصلح الفاســـد وتزيد اصلاحه •• وأقل ما تأمر به هذه الآية •• هو أنك لا تأتي للصالح وتفسده •• معنى اسـتعمر الأرض •• اى أبقى الصالح على صلاحه •• أو زاد في اصلاحه •

والله يخاطب الشيء بالقوة •• والشيء بالفعل •• زينة الله على الأرض من أثرين •• آثار خلق الله •• والطبيعة التى وهبها لنا •• وآثار ما فعله الانسان بمـــا علمه الله له •• ليضيف الى ذلك •• وعندما نقرأ في ســـورة الـكهف •• « ويسألونك عن ذى القرنين •• قل سأتلو عليكم منه ذكرى » •• انا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا •• فاتبع سببا » •• ومعنى ذلك أننا أعطيناه أسباب المنعة والقـــوة والحكم في الأرض •• ولكنه لم يقتصر عـــلى ما أوتى •• لم يقتصر على ما فعل له •• اتبع هو سببا •• فيما ينفعل له •• ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليقول لنا : ان الانسان مهما يعطى لا يجب أن يكتفى بما أعطى له ولا يفعل شيئا •• بل يجب أن يأخذ هذا العطاء •• ويعمل من أجـــل أن يضيف اليه •• وينفعل به •• مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الانســـان في الأرض •• وذلك مصداقا للحـــديث الشريف : لا خير فيمن لا يضيف •• والاضافة هنا بمعناها العام •• أى أنك أنت ان استفدت من الكون •• وجعل الله

الكون فى خدمتك .. فلابد أن تعطى عطـــاءا للكون .. أن تضيف اليه شيئا .. والا أصبحت الحيـــاة جامدة وغـــير متحركة .. ولا متطورة .. وتوقف تطور البشرية ونموها.. اذ أن الحياة تتطور من أن يضيف الانسان من ذاته ما تفاعل به مع بيئته .. ومع الكون ليصنع شيئا جديدا .. أى أن الله سبحانه وتعالى ينهانا أن نقف أمام قطعة من الأرض .. ولا نفعل شيئا ننتظر المطر ثم يظهر نبات .. أى نبات .. فنأكل منه .. أو ترعى منه الماشية .. ثم بعد ذلك لا شيء .. لابد أن يعرف الانسان ويدرس كيف يحرث هذه الأرض .. وما هى النباتات الصالحة لها ليحصل على أجود النتائج .. لابد أن يتعلم كيف يجعل هذه العناصر التى خلقها الله فى الأرض لتنفعل به .. وتعطيه أحسن النتائج .. وهـــذا معنى الآية الكريمة .. فأتبع سببا .. أى أنه لم يقف ولم يقتصر على العطاء الذى أعطى له من الله ..

والذى يجب أن نعرفه .. أن منازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة .. فقد يكون رجل ذا جاه ومال فى الدنيا .. أخذ من نعم الأرض الكثير .. ومع ذلك مصيره النار .. وقـــد يكون رجل ليس له حظ فى الدنيا رزقه يكاد يكفى قوته .. هو من أهل الجنة .. تلك حياة .. وتلك حياة .. بل ان المترفين فى نعيم الدنيا هم عادة أكثر بعدا عن الله من غيرهم .. ولذلك ضرب الله عدة أمثلة فى القرآن .. ولكن هـــذا لا يجب أن يلهينا عن الحقيقة .. وهى أن من يتبع القوانين التى وضعها الله فى الأرض .. بالنسبة للحياة الدنيا ..

يأخذ نصيبه منها ·· ومن يتبع قوانين الله بالنسبة للحياة الآخرة ·· يأخذ نصيبه منها ·

وكما أوضحت ·· فان الله قد أمرنا أن نضيف من الأسباب التى أعطاها لنا فى سبيل الرزق ·· عملا ·· لنحصل على أحسن النتائج ·· وهذا العمل هو نوع من العبادة ·· لأننا نطيع قوانين الله فى الأرض ·· وهو أعطانا أسباب الرفعة فى الدنيا ·· وفى الآخرة ·· وعلينا أن نأخذ بهذه الأسباب ·· ونعمل من أجل الدنيا ·· ومن أجل الآخرة ·· مصداقا لقوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ·· فاذا كان هناك تخلف فى الدول الاسلامية ·· فالاسلام نفسه برىء من هذا التخلف ·· لأنه وضع أمامنا كل أسباب الرقى والتقدم · ·وطلب منا العمل فى الحياة الدنيا ·· حتى يتحقق لنا ثمرة هذا العمل ·· فاذا كنا قد تركنا أسباب التقدم التى هى موجودة فى الاسلام ·· فليس هذا عيب الاسلام·· وانما العيب فى عدم تطبيق تعاليم الاسلام التطبيق الصحيح والسليم ·

واننى أعجب من بعض الناس الذين يفسرون التوكل على الله بأنه دعوة الى عدم العمل والجهاد ·· بينما هو فى الحقيقة ·· دعوة للجهاد والعمل ·· والتأكد من أن النتيجة طيبة ·· لأن الله يبارك هذا العمل ·· ويبارك هذا الجهاد·· الصادر من قلب المؤمن ·· ولكن بعض الناس يريدوا أن يضعوا فى الدين ما ليس فيه ·· واذا كانت المسألة كذلك

.. من أن نترك كل شيء لله .. ولا نعمل .. فلست أدرى ..
لماذا يتخلى هؤلاء الناس عن مبدئهم فى أبسط الأشياء ..
وهو الطعام والشراب .. فاذا عطش .. فهو يقوم ليشرب ..
واذا جاء الطعام .. فهو يأكل ويبذل جهدا فى تناول الطعام
ومضغه .. لماذا لا يترك كل هذا لقدر الله .. اذا كان المطلوب
هو عدم العمل .. وعدم بذل أى جهد للانسان .. ولماذا
يأتى الى هذه النقطة بالذات..ويضيف عملا الى ما أعطاه الله.

هل جزاء الاحسان .. الاساءة ؟

كلنا نشكو من الجحود .. نحن جميعا نحس أن أحدا لا يقدر .. ولا يقدر ما نعمله من أجله .. نحس أننا مهما عملنا من طيبات للناس .. فان جزاءها في كثير من الأحيان لا يكون مثل العمل .. كل انسان منا فى قلبه مرارة من ذلك .. وعلى لسانه شكوى .. ونلتفت الى السماء ونقول : يا ربى أنت قلت هل جزاء الاحسان الا الاحسان .. ولكن فى هذه الدنيا نجد أنه فى كثير من الأحيان يكون جزاء الاحسان الاساءة ونكران الجميل .. ونحن حائرون .. لا ندرى كيف نفعل الطيب .. ثم نواجه بالخبيث .. ولا نعرف هل هذه قوانين الكون حقيقة .. أم أننا مخدوعون .. قال الشيخ محمد متولى الشعراوى : ان قوانين الله أزلية .. بمعنى أنها لا تتأثر بالزمان ولا بالمكان .. وأنها لا يمكن أن تتصادم مع الحقائق الكونية .. لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون .. وهو الذى وضع قوانينه ونواميسه .. وما أخبرنا به فى القرآن هو الحقيقة ..

هذه بداية يجب أن نعيها جيدا . .ليس فقط عما سنتحدث عنه اليوم .. ولكن عن كل شيء فى هذا الكون .. فلا يمكن أن تتصادم حقيقة علمية مع ما ذكره القرآن .. الا فى حالتين .. اذا لم تكن هذه الحقيقة قد بلغت مرتبة اليقين

.. وبالتالى فهى ليست حقيقة علميـــة .. ولكنها فى طور التجربة .. أو أن يساء تفسير الحقائق العلمية التى ذكرها الله فى القرآن .. وهناك مثل بسيط لذلك .. سأقوله لك على أن لنا عودة فى هذا الموضوع بتوسع .. المثل هو قول الله تعالى : والأرض مددناها .. ومددناها معناها بسطناها.. وعندما اكتشف أن الأرض كروية .. وعرف ذلك يقينا .. هلل المهللون بأن هذا يتصادم مع الحقائق الموجودة فى القرآن .. فالارض كروية .. ومع ذلك يقول الله : أننا مددناها أى بسطناها .. بل ان بعض الناس كانوا يعتبرون مجرد ذكر .. أن الأرض كروية هو نوع من الكفر .. والحقيقة غـــير ذلك تماما .. فما معنى قوله سبحانه وتعالى الأرض مددناها .. معناه أنك فى أى مكان تصل اليه من العالم تجد أمامك الأرض ممدودة .. أى منبســـطة .. اذا ذهبت الى القطب الشمالى .. أو القطب الجنوبى .. أو خط الاستواء .. أو الى أى بقعة فى الأرض تجد الأرض منبسطة أمامك .. وهذا لا يتـــأتى الا اذا كانت الأرض كروية .. فلو كانت الأرض مربعة .. أو مسدسة .. أو مثلثة .. أو على أى شكل آخر من الأشكال .. لوصلت فيها الى حافة .. الى مكان تجد أن هناك حافة للأرض .. ونهاية لها .. ولكن لكى تجد الأرض منبسطة أمامك فى كل مكان تذهب اليه .. فلابد أن تكون الأرض كروية .. اذن فقوله تعـــالى : والأرض مددناها .. يؤكد ويحتم أن الأرض كروية ..

يأتى بعد ذلك مسألة الاحسان ·· وهنـاك نوعين من الاحسان ·· نوع تبتغى به وجه الله تعالى ·· ونوع تبتغى به وجه الانسان ·· النـوع الأول الله وعـدك الحسنة بعشر أمثالها ·· فانت حين تقدم الاحسان مبتغيا وجه الله سبحانه وتعالى ·· فانك ستحصل من الله على جراءك الحسنه بعشر أمثالها ·

ولكن بعض الناس يقدم الاحسان مبتغيا رضاء البشر ·· لا رضاء الله ·· فهو يحسن الى ذلك الانسان لأنه مخلص له ·· أو لأنه ينفعه ·· أو لأن له عنده خدمة يريد أن يؤديها له ·· أو لأن له غرضا من ذلك ·· بأن يطوق عنقه بجميل·· أو ينال منه شيئا ·· ذلك الاحسان ليس لله فيه من شيء ·· فأنت حين قمت به ·· قمت ارضاء للبشر ·· ارضاء للانسان ·· واذا كنت تفعل شيئا لترضى بشرا ·· فيجب أن تنال جزاءك من البشر ·· والانسان خلق ظلوما ·· ومن هنـا فانك لا تستطيع ·· وأنت تبتغى رضـا الانسان أن تطلب الجزاء من الله ·· لأنك لم تفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ·· ولا فكرت ثانية واحدة فيما يرضى الله أو يغضبه ·· انمـا كان كل همك أن ترضى بشرا ·· وأن تحصل على رضا بشر ·· وأن تنال غرضا من بشر ·· ومن هنا كان الجزاء من نوع العمل ·· جزاءا بشريا ··

فالاحسان حين تقصد به وجه الله ·· جزاءه الاحسان · والحسنة بعشر أمثالها ·· مصداقا لقوله تعالى : انما نطعمكم

لوجه الله ·· لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا ·· فما دام هو لوجه الله ·· وما دمت لا تريد جزاءا من بشر ولا شكرا ·· فان ما تناله هو الاحسان فى الدنيا والآخرة ·· ولكنك اذا أردت بهذا الاحسان بشرا ·· وأردت به رضاء بشر ·· أو الحصول على رضاه ·· فانك تطلب رضا الناس ·· ولا تطلب رضا الله ·· فجزاءك من الناس يخضع لمقاييسهم وأخلاقهم·· والانسان الذى أنعم الله عليه بنعمة الحياة والرزق والأمن ·· وكل نعم الدنيا التى لا تعد ولا تحصى ·· أحيانا يكفر بخالقه واهب الحياة له ·· ومعطيه كل هذه النعم ·· فما بالك اذا كنت أنت تحسن اليه احسانا محدودا ·· وتريد منه الجزاء عليه ··

قلت : هناك آية كريمة « وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عـــذابا شـــديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » ·· وهذه الآية يفسرها بعض الناس عـلى أساس أن الدنيا كل قرية فيها ستهلك قبل يوم القيامة ·· أى أن كل قرية مكتوب عليها الهلاك ·· فهل هذا التفسير سليما ··

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى :

عندما نستعرض حضارات الأرض ·· فاننا نجد أنهـا تقوم على أسباب مختلفة ·· أحيانا تقوم على أساس اقتصادى ·· وفى أحيان أخرى على أساس عسكرى ·· فى مرة ثالثة يستطيع التمكن من العلم أن ينشأ حضـــارة قوية تسود

الأرض .. المهم أن الحضارة هى نظام أو منهـــاج أو طريق للحياة استولى على أسباب التمكن فى الأرض .. وأحيـــانا يكون الاستيلاء بالقوة .. دون أن تكون أسس الحضـــارة نفسها ومقدماتها موجودة ومتأصلة .. فهناك امبراطوريات قامت وسادت الأرض على أساس القوة العسكرية وحدها .. بينما لم تكن تملك من أسباب الحضارة الأصلية شيئا سوى قدرتها على القتال والفتح وهنـــاك حضـــارات كانت تملك بجوار القوة والمنعة التى مكنتهـــا من أن تســـود الأرض .. كانت تملك أساسيات الحضارة نفسها .. والتـــاريخ شاهد عـــلى ذلك .. فهنـــاك حضـــارات بربرية قامت على أساس الفتح العسكرى وحده .. وهناك حضارات أقامت بجانب الفتح العسكرى أسس أخرى للتقدم فى الحياة ..

فاذا كانت أى حضارة أو أى أمة تسود .. فالمفروض أنها بعد ذلك .. بعد أن سادت ونمت تؤصـــل نفسها وتثبت بنيانها .. وتبقى شامخة قوية على مر التاريخ .. لايستطيع الزمن أن ينال منها .. خصوصا اذا كانت هـــذه الحضارة تملك بجانب أسباب التمكن فى الأرض .. الأساسيات التى تجعلها متقدمة وسابقة لكثير من الأمم .. ولكن الذى يحدث أن كل حضارة تقوم تأخذ فترتها وتزول بعد ذلك .. مع أن هذا ضد منطق الأحداث .. فالذى أقام حضارة من لا شىء .. وتمكن فى الأرض .. أسهل عليه أن يثبت ما استطاع أن يصل اليه .. فاذا كان قد أنشأ فعلا حضارة من لا شىء ..

واستطاع أن يسود .. وهذا أصعب الأمور .. فان الاحتفاظ بهذه الحضارة .. وهو سيد الأرض .. يكون عملا أسهل .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. فاذا رجعنا للتاريخ .. نجد ان كل حضارة لها عمر .. وتنتهي كالانسان تماما ..

ولكن لماذا تنتهي الحضارات .. الحقيقة أن الذين يقومون بها .. يدخلون على الحضارة .. وهم يعملون بجد واخلاص واجتهاد .. فأعطاهم هذا الجد والاجتهاد .. الحضـــارة التي طلبوها .. أو أرادوها .. وعندما وصلوا اليها تركوا هــذا الجد والاجتهاد .. وتركوا المثل التي قامت عليها الحضـــارة من تضحية وشجاعة وعمل .. وبدأوا ينعمون مما تقدمه لهم الدنيا التي تمكنوا منها .. وينحرفون عن طريق العمل الى طريق المتعة والاسترخاء .. والظلم .. فضاعت منهم هـــذه الحضارة .. وزالت عنهم أســـباب التمكن في الأرض .. وتكرار الحضارات عبر التاريخ .. خير دليل على ذلك .

نأتي بعد ذلك الى الحكمة من الآية الكريمة .. فان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انه من الممكن أيها الانسان بجدك واجتهادك وتفانيك .. تستطيع أن تأخذ أســـباب التمكن في الأرض .. ولذلك نجد أن كل مؤسسي الحضارات .. هم أناس تفانوا في الحق .. وتفانوا في الاخلاص لمـــا يؤمنون به .. وعملوا وفي قلوبهم مثل وهبوا حياتهم لها .. ثم يأتي بعدهم قوم لينعموا بهذه الحضارة .. هؤلاء القـــوم ورثوها بلا تعب .. ولا جهاد .. ولا مثل .. وجدوها هكذا

أمامهم توفر لهم أسباب الترف والعبث ٠ ٠وعدم العمل ٠٠ وتختفى المثل التى قامت عليها الحضارة ٠٠ ليحل مكانهـــا تمتع بلا حـــــدود ٠٠ وتبدأ الحضـــارة في الانهيـــار ٠٠ ويستخدمونها فى الفساد ٠٠ فانشاء الحضارات يتم من الذين لم يتنعموا بهذه الحضارة ٠٠ ويظلون طوال حياتهم يتفانون ويعملون من أجل ما آمنوا به ٠٠ دون أن يتمتعوا بأى شيء ٠٠ ثم يأتى الفساد على يد الذين من بعـــدهم ٠٠ الذين لم يتعبوا فى هذه الحضارة ٠٠ فتصنع منهم أسباب الحضارة ٠٠ وبالتالى فانها تزول ٠

والعجيب أن الذين ينشئون الحضارات ٠٠ لا يتركون أسرارها لأحد ٠٠ فقدماء المصريين مثلا لم يتركوا لنا سر بناء الأهرامات ٠٠ أو سر تحنيط الجثث ٠٠ أو غـــير ذلك من الأسرار التى مكنتهم من أن يسودوا في الأرض ٠٠ تركوا لنا حكاياتهم وقصصهم ٠٠ ونحن أحيانا نستنبط الأسباب ٠٠ لماذا قامت الحضارة ٠٠ ولماذا زالت ٠٠ ولكن هذه الأسباب في مجموعها ٠٠ قد تمثل جزءا بسيطا من حقيقة الأسرار التى وصلوا اليها ٠٠

والمسألة كلها تتبع قانون الأزلية ٠٠ ان الانسان حين يحتفظ بقيمه تظل له السيادة فى الأرض ٠٠ وحين ينحدر عن هـــذه القيم تزول عنه هذه السيادة ٠٠ ولذلك يقـــول ابن خلدون ٠٠ أنك اذا رأيت الحضارة تصل الى قمتهـــا ٠٠ فاعلم أنها فى طريقها الى الزوال ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ لأن الذين

ينعمون بها وهى فى قمتها ·· غير الذين أقاموها ·· بل انهم جيل آخر ·· أخذها بلا قيم ·· واستخدمها منحرفا ··

ونحس فى معنى الآية الكريمة ·· أن الله سبحانه وتعالى وهو الذى خلق الانسان ويعرفه حق المعرفة ·· يقول له : « انه ما من حضارة تقوم فى هذه الدنيا ألا وهى ستزول ·· وان من قرية ألا نحن مهلكوها قبل يوم القيامه ·· أو معذبوها عذابا شديدا ·· كان ذلك فى الكتاب مسطورا ·· وأنها ستزول لأن الذين يؤتون أسباب هذه الحضارة ينحرفون عن الطريق ·· ويلجأون الى الفساد ·· اذا نظرنا حتى فى التاريخ الحديث ·· وفى الأحداث الأخيرة ·· نجد أنه ما من بلد يسود فيها الفساد ·· وتنهار فيها القيم ·· ويتم فيها البعد عن الله ·· الا وتهلك حضارتها ·· أو تصاب بعذاب شديد ·· ذلك أن الأمانة فى الدنيا هو فى اتباع طريق الله ·· وليس الأمان بمقاييس يستطيع الانسان أن يضعها مهما وضح فكره ·· وحدد مقاييسه ·· وفكر ودبر ·· أنه يفشل فى الوصول الى أين يكمن الأمان الحقيقى ·· ولعل ما حدث فى لبنان أخيرا التى كانت تعتبر قمة الأمن والأمان ·· وتحولت اليها كل رؤوس الأموال ·· وكان كل انسان يريد أن يكون آمنا على نفسه وماله ·· يذهب الى هناك ·· أو يرسل أمواله الى هناك ·· ثم ماذا حدث ··· انقلب الأمن خوفا ·· ذلك أنه كان آمنا بمقاييس الدنيا ·· وليس بمقاييس الآخرة ··

لقد خلقنا الانسان في كبد

ان الانسان يكابد فى هذه الدنيا ·· ويعانى ·· حتى أولئك الذين وضعهم الله على قمة النعم الدنيوية ·· وأعطاهم كل ما تستطيع الدنيا أن تهب ·· يعانون ويكابدون داخل انفسهم ·· ذلك أن الانسان بطبعه يزهد ما فى يده ولا يقدره ·· وينظر الى ما فى يد الناس ·· وكلما حرم الانسان من شيء أحس أن سعادة الدنيا فيه ·· وقد يكون هذا الشيء يحمل اليه الشقاء ·· ولكنه رغم ذلك يحس بسعادة الدنيا فيه ·· لأنه محروم منه ··

فالذى يملك نعمة الصحة مثلا ·· يرى السعادة فى المال ·· والذى يملك نعمة المال ·· يعرف ان السعادة فى الصحة··والذى أعطاه الله نعمة الستر مثلا··يرى أن السعادة ربما فى كل شيء الا ما أخذ ·· مع أن بعض الناس فى لحظة من لحظات حياتهم يتمنون أن يأخذ الله كل ما أعطاهم ·· ـ ويسترهم ·· والذى أعطاه الله نعمة الطمأنينة ·· لا يقدرها ·· ويبحث عما ينزع من نفسه ما هو فيه من نعمة كبيرة ··

هذه هى سنة الحياة ·· ولقد كان لقائى مع الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف وشئون الازهر ·· عن معنى الآية الكريمة « لقد خلقنا الانسان فى كبد » وما هو معنى كلمة كبد الذى يعيش فيه الناس ··

وقال الشيخ محمد متولى الشعراوى ·· ان الانسان بطبيعة تكوينه مكابد ·· فالذى يريد أن يكون الانسان مرتاحا ·· هو رجل لم يفهم سر خلق الله ·· لأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان مكابدا ·· خلقه طاقة ·· وميزه فكرا ·· طاقة مثل التى فى الحيوان تماما ·· فيه جزء حيوانى ·· ذلك الذى ينمو ويعيش بنواميس الدنيا التى تنطبق على الأجساد الحية ·· والتى تشترك فيها بطبيعتها معظم الكائنات ·· ولكنه ميزة عن كل هذا الخلق بالفكر ·· أى أنه فضله على جميع مخلوقاته ·· باعطائه الفكر ·· لماذا ؟ ·· أرأيت جيلا من الحيوانات يقول أنه يجب أن نرتقى بمعيشتنا ·· وننشىء لنا زرائب على أحدث نظام ·· ونغير طعامنا بطعام أفضل ·· ونخترع الدواء لأمراضنا ·· ونحاول أن نحل مشاكلنا بأنفسنا ·· أرأيت جيلا من الحيوانات يفعل ذلك ··

أرأيت حيوان حينما يوضع الطعام أمامه يقول : أنا آكل ذلك ·· ولا آكل هذا ·· أو يقول : سأوفر جزءا من هذا الطعام الى غد ·· أو سأدخر جزءا من الطعام الذى أمامى للأيام القادمة ·· أرأيت حيوان حينما يشبع يظل يأكل ·· أو انك ضربته مهما ضربته ليأكل أكثر يستجيب لك ·· أبدا ·· أنه يأخذ حاجته فقط ·· ثم بعد ذلك يترك الطعام ·· ولا يأخذ عودا من البرسيم زيادة ·· مهما كانت الوسائل التى تستخدمها معه ··

نأتى بعد ذلك للانسان فى هذه الناحية ·· اذا أكل

وشبع ·· ثم قلت له : هذا الصنف من الطعام جيد ·· يجب أن تتذوقه ·· أو أحضرت له طبقا من الطعام شكله مغرى ·· وزينته له ·· فأنه رغم شبعه يأكل ·· ويأكل ··

فبينما الحيوان يأكل على قدر الغريزة فقط ·· نجد أن الانسان تدخل فيه قدرة الاختيار التى وضعه الله فيـــه ·· ليتخذ قرارا ·· وأحيانا يكون هذا القرار ضارا به ·· وأحيانا يكون نافعا ·· ولكن له القدرة على اتخاذ القرار ·· بحيث يستطيع ان يأكل ·· أو لا يأكل ·· بعد أن شبع · وأن يفعل شيئا ·· أو لا يفعـــل ·· ليس مدفوعا بالغريزة ·· ولكن باختياره الخاص ·· وقراره ··

نمضى بعد ذلك ·· أرأيت حيوان نم على حيوان ·· أرأيت حيوان أخذ منه أبنه وذبح وامتنع عن الأكل أو الشرب ·· أرأيت حيوان يريد أن يبقى ابنه بجواره بعد أن أصبح هذا الابن يستطيع أن يعتمد على نفسه ·· ويحصل على قوته بقدرته ·· أنه يرعاه غريزيا ·· طالما هو محتاج الى هـــذه الرعاية ·· عاجز على أن يحصل على طعامه وشرابه بنفسه ·· فاذا وصل الى القدرة على الحياة بمفرده ·· انفصل عن الأب ·· وأنتهى كل شيء ·· أى أنه لا يتعلق بأبنائه ·· بعد أن انفصلوا عنه ·· وأصبحوا قادرين على الحياة ·· ولا يبحث عنهم ·· أين ذهبوا ·· ولا الى أين اتجهوا ·· ولا ماذا جرى لهم ·· أن مهمته قد انتهت ·· بمجرد أن أعتمد أولاده على أنفسهم ·· أرأيت حيوان له بدائل فى الانفعالات ·· أنت

اذا آذيت الكلب مثلا .. يعضك .. والحمار أو الحصان يرفصك .. أى أن انفعاله له شيء واحد لا يتغير .. بينما الانسان له عشرات البدائل من الانفعالات .. فاذا ضربك شخص .. فانت تستطيع أن ترد الضربة .. أو تردها أشد .. أو أقل .. أن تؤذيه أكثر .. أو تصفح عنه .. أو تحسن اليه .. بدائل لا حدود لها موجودة عند الانسان وحده .. وما دامت هذه البدائل موجودة .. فلابد أن هناك فى الانسان شيء يجعله يختار .. أو يميز بين هذه البدائل .. بحيث يتخذ القرار .. أما الذى ليس عنده سوى بديل واحد .. فهو غير محتاج الى فكر ليميز به بين البدائل التى أمامه ..

وهنا يأتى معنى الأية الكريمة .. « لقد خلقنا الانسان فى كبد » .. فانت وأمامك هذه البدائل كلها .. أو الانسان وهو أمامه هذه البدائل كلها .. مطلوب منه أن يختار .. ماذا يفعل ؟ .. هل يفعل هذا أم ذاك .. هل يرد الاساءة .. أم يواجهها .. بالاحسان .. هل يستقيل من وظيفة ويبدا عملا حرا .. أو أنه قد يفلس اذا قام بهذا العمل .. وهل يضمن غده .. أمامه بدائل متعددة .. أيهما خير .. وأيهما شر .. لو اختار هذا .. هل أختار الصواب أم الخطأ .. لو أتخذ هذا القرار .. ما هو أثره على غده .. ومستقبله .. لو فعل كذا .. أيأتى يوم يندم على ما فعل .. اذا ضاعت هذه الفرصة .. فهل ستأتى فرصة غيرها ..

اذن .. فهو ان امتنع عن اتخاذ القرار .. فهو فى كبد

.. لأنه يحس أنه ربما أخطأ .. وربما فاتته الفرصة .. واذا أتخذ القرار .. وأختار أحد البدائل فهو في كبد .. لأنه يحس أنه ربما قد أخطأ فيما فعل .. اذا قال نعم .. فهو فى كبد .. ربما كان يجب أن يقول لا .. واذا قال لا فهو فى كبد .. ربما كان الخير فى كلمة نعم .. وهكذا لا يخرجه من الكبد أن يتخذ القرار .. أو لا يتخذ .. أو أن يقوم بالعمل .. او يمتنع عنه .. أنه يعيش فى كبد دائم ..

وهنا يجب أن نعرف أن كلمة الانسان حين تطلق .. يراد بها الانسان على اطلاق خلقه بدون تميز .. هذا الانسان هو الذى يكابد دائما اذا وافق أو امتنع أو اتخذ أى قرار .. ولكن ما الذى يصل بالانسان الى الراحة .. ويبعده ويذهب عنه هذا الكبد .. أنه الايمان .. ولذلك عنـــدما تأتى الى الانسان .. وتأخذه بغير ايمان .. وتطلقه لغرائزه .. فأنك تجد ان كل قدر يواجهه .. يعتبر شرا .. فاذا لم يحصل على المال فهو شر .. واذا حصل على المال .. خاف من الحسد والسرقة .. أو ضياعه .. أو انفاقه .. ولذلك فهو فى شر .. اذا كان صحيحا معافا .. فأنه لا يعتبر هذا نعمة .. وأنما يأخذها على أساس أن ذلك هو المفروض .. ويبدأ بعد ذلك فى النظر الى النعم التى أنعم الله بها على غيره من خلقه .. وفى نفسه مرارة وحسرة .. فاذا أصيب بالمرض أحس أنه شر .. وبدأ يعرف قيمة نعمة الصحة .. فكل قدر فى نظره .. يمثل شرا .. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى « ان الانسان

لفى خسر » ·· « وأن الانسان خلق هلوعا » ·· هذه هى طبيعة تكوينه ·· طبيعة خلقه ·· ما الذى ينزل السكينة على قلبه ·· ويجعله لا يكابد فى الحياة ·· أنه المنهج والايمان ·· ولذلك فان الله سبحانه وتعالى استثنى وقال : فى أكثر من موضع « الا الذين آمنوا » ·· اذن ماذا يخرجنى من كبد الدنيا ·· ومن المعاناة فيها ؟ ·· أنه الايمان ·· ولذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم ·· المؤمن بخير على كل حال ·· فما دام قد آمن ·· فالمؤمن يفسر كل شىء بالمنهج الذى يؤمن به ·· والله يقول فى أكثر من موضع ·· « وعسى أن تكرهو شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ·· ويقول الله سبحانه وتعالى : ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير ·· ومعنى ذلك أن الانســـان لا يعرف مقاييس الخير التى وضعها الله ·· وانما هو فى دعائه وكرهه لأشياء تحدث له ·· انما يستخدم مقاييسه الخاصـــة التى قد تصور الخير على أنه شرا ·· وتصور له الشر على أنه خيرا ·· فيدعو من أجل الشر ·· ومقاييس الانسان القاصرة عن الحقيقة ·· أما مقاييس الله سبحانه وتعالى فهى المقاييس المطلقة التى يجب أن نلتزم بها ·· والتى تميز الخير عن الشر ·· كما لا نستطيع نحن بادراكنا المحدود أن نميزه ·· ومن هنا فان الانسان قد يدعو بشىء ·· ويقول ربى ·· أننى أريد هذا ·· أننى أطلب هذا ويقول الله سبحانه وتعالى أنت لا تعرف أين الخير ·· ان ما تطلبه هو شر ·· وأنا أريد لك الخير ·· ولذلك لن أعطيك ما تطلب ·· ويحزن الانسان لأن الدعاء لم يجب والطلب لم يتحقق ·· ولو أوتى العلم لعرف أن الله

كان رحيما به ·· وأنه منعه من شر كان سيأتى ·· وأن الله أراد أن يعطيه الخير ·· فلم يستجب له ·· ولأضرب مثـــلا بسيطا ·· اذا طلب ابنك منك أن تشترى له مسدسا ·· هو يعتقد أن هذا خيرا ·· ذلك أن المسدس سيجعل له سطوة بين أصدقائه ·· ويحميه من أى شخص ليعتدى عليه ·· ويجعله آمنا قويا الى آخره ·· هو يعتقد أنه خير ·· ولكنك بمنطق الأب ترفض أن تشترى له هذا المسدس لأنك تعلم أنه شاب صغير ·· وأنه قد يتهور فيقتل أحدا ·· أو يفقد أعصابه وسيطرته على نفسه حينما يتشاحن مع أى شخص أو يسبه أى شخص فيحدث ما لا تحمد عقباه ··

هو يتصور بأنك منعت عنه الخير ·· لأنك لم تشتر له المسدس الذى يطلبه ·· وأنت واثق أنك منعت عنه شرا ·· وشرا كبيرا بعدم استجابتك لطلبه ··

ولذلك فان المؤمن يجب أن يعرف أن الخير فيما اختاره الله ·· وأنه ما دام الايمان فى قلبه ·· والاخلاص لله هـــو منهجه ·· فان الله لن يتخلى عنه أبدا ·· مصداقا لقول الله تعالى « نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » ·· وقوله تعالى « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » وقوله تعـــالى « ومن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وآيات أخرى فى القرآن الكريم ·· فالمؤمن بطبيعته يعرف أن الله معه ·· وأنه لن يتخلى عنه أبدا ·· وأن الخيرة فيمـــا

اختاره الله ٠٠ ولذلك ٠٠ عندما يحدث له ٠٠ ما يعتقد هو أنه شر ٠٠ فأنه يعرف أن ذلك خير له ٠٠ وأن الله قد منع عنه ما طلب ٠٠ أو ما تمنى ٠٠ لأنه يريد أن يقيه من شر حقيقى ٠٠ وأعطاه غير ما يطلب لأن فى ذلك خير وخير كثير ٠٠ وهكذا يعيش الحياة دون أن يكابد أو يعانى بل يعيش بنفس مطمئنة وقلب مرتاح ٠٠ فطريق الراحة فى الحياة هو الايمان ٠٠ انه هو الذى يخلصك من تعب الدنيا ومعاناتها ومشاكلها ٠٠

حديث عن الرزق

ان الحديث عن الرزق يشغل الناس فى الدنيا ‥ بل يكاد يكون هو همهم الأكبر ‥ وما دام الرزق مقــدرا ‥ ومكتوبا ‥ فلماذا العمل ‥ قال الشيخ محمد متولى الشعراوى ‥ أنه ما دامت الدنيا هذا أملها المحدود ‥ فلا يجب أن نعطيها فوق طاقتها ‥ نعمل العمل ‥ ولا نطلب الا الثواب من الله ‥ ولقد أعطى الله فى القرآن قضية اسمية فى رسول الله ‥ فى نساء النبى ‥ حين استتب الأمر لهذا الدين ‥ وكثرت الغنائم ‥ فأحببن أن يعشن عيشة يملأها زخرف الدنيـــا وبهجتها ‥

ويمضى الشيخ محمد متولى الشعراوى فى الحـــديث فيقول : حينئذ نزلت الآية الكريمة :

يا نساء النبى ‥ « ان كنتن تردن الحيـــاة الدنيـــا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ‥ وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ‥ فان الله أعد للمؤمنات منكن أجرا عظيما » ‥ اذن فالقضية فى أمر الدين ‥ أعلاما بها ‥ وصيانة لها ‥ وحملا للناس عليها ‥ فالجزاء هو الجنة ‥ والذى يريد ثمنا غير هذا ‥ يكون قد أرخصها ‥ فالذين يتأسون برسول الله ‥ وبحياة رسول الله ‥ يجب ألا يغيب عنهم هذا القول ‥ لأنه اذا غاب عنهم سيتعبون فى الحياة الدنيا ‥ ويتعبون فى كل ما يحـــدث ‥ وسعادته

لا تنبع مما يحدث ·· ولكن تنبع من داخله ·· فالسعادة فى حقيقتها لا تنبع مما يحدث للناس ·· ولكن تنبع مما فى داخلهم ·· ومما فى أنفسهم ·· فقد يحدث حدثان متشابهان لشخصين ·· فاذا أحدهما سعيدا وراض بما حدث ·· واذا الثانى شقى تعيس بما تم ·· مع أن الحدثين واحد ·· والشخصين ظروفهما متشابهة ··

فمثلا يحدث أن يتقدم شخصان متشابهان فى كل شىء الى صفقة معينة أو شراء شىء معين بقصد التجارة ·· وتفشل العملية ·· أحدهما يكون شقيا يلعن حظه ·· ويلعن الحياة ·· ذلك هو من يريد الدنيا ·· فهو مؤمن بقصر نظره ·· وعدم علمه ·· وتفضيله العاجل على الآجل ·· والعائد السريع القليل على العائد البعيد الوفير الكثير ·· ذلك الانسان الذى يرى من الدنيا ظاهرها ·· ويؤمن بانه هو الحكم الوحيد على ما يحدث سواء خيرا أو شرا ·· ومن هنا فهو يعتقد ان ما حدث له هو شر ·· وشر مبين ·· فتضيق نفسه ·· وتضيق الحياة فى وجهه ·· وتملأه الانفعالات ·· ويوضع فى قلبه السخط ·· والتبرم والتشاؤم ··

ورجل آخر له نفس الظروف ·· ولكنه يحترم قدر الله فيه ·· ويعرف أنه مهما أعطى من العلم ·· فقد أعطى القليل ·· وأن علم الله لا تدركه العقول والأبصار ·· ومن هنا فهو يؤمن أن ضياع هذه الصفقة هو شر أراد الله أن يبعده عنه ·· وأن الله فى قدره ·· انما أراد له الخير لأنها لو تمت لكانت ربما قد أدت الى أحداث كثيرة لا يتمناها ·· ولا يريدها ·· ومن

هنا فنفسه راضية ·· وقلبه مطمئن الى قضاء الله ·· وهو راض يعرف أن ما أذهبه الله عنه ·· وأن كان ظاهره خيرا ·· الحياة الدنيا ·· ويتعبون في كل ما يحد ث·· وسعادته ·· الا أن باطنه وحقيقته هو الشر ·· ويعرف أن الله قد ادخر له في المستقبل القريب ما هو أحسن من هذا ·· وأكثر خيرا ·· ويعرف أنه باحترام قدر الله فيه ·· أنما يكون من اهل الجنة الذين فازوا ·· فازوا الفوز العظيم ·· لأنهم اختاروا الجزاء من الله أولا وأخيرا ·· وهذا الجزاء يصله لا بقدراته هو ·· ولكن بقدرات الله ·· ولا بوقته الضيق ·· ولكن بالخلود الذى وعده به الله ··

واذا كان الله فى بالك ·· فأحداث الدنيا كلها تؤثر فيك ··

قلت للشيخ محمد متولى الشعراوى : أن هناك قضية هامة في الاسلام هى قضية التوكل على الله ·· وهناك خلط عند المسلمين بين قضية التوكل والتواكل ·· فالذين يريدون أن يأخذوا بالمعنى الظاهر ·· يقولون أنه ما دام كل شيء بقدر ·· فلماذا العمل والتعب ·· وما دام الرزق مقدر ·· ولكل انسان رزقه ·· فلماذا نتعب أنفسنا فى قضية الرزق·· وهذا التواكل في رأى بعض المستشرقين هو أحد أسباب تأخر الدول الاسلامية ·· حيث لا يأخذ العمل جديته ·· ومقاييسه الدنيوية ·· وحيث لا يأخذ الحرص مكانه الحقيقى ·· وحيث يترك كل شيء لقدر الله ··

قال : أن الانسان فيه أشياء لا دخل له فيها ·· وأشياء أخرى تخضع للاختيار ·· فمثلا نمو الانسان كونه يولد طفلا ·· ثم ينمو شابا ·· ثم رجلا ·· ثم دور الكهولة ·· حتى يأتى قدره ·· مشكلة لا دخل له فيها ·· فهو لا ينموا باختياره ·· ولا يستطيع مثلا أن يوقف نموه ·· ويقول : سأظل طفلا ·· ولن أنموا لأصبح رجلا الى آخر هذا ··

يأتى بعد ذلك ما يحدث للانسان فى حياته ·· وهذا نوعان ·· نوع يأتى من خارجه ·· وهـــو قدر الله فيه ·· لا يستطيع أن يوقفه أو يتحكم فيه ·· مثل ذلك أن يكـــون الانسان يعمل فى مصنع مثلا ·· أو فى مكان ما ·· ثم يفقد وظيفته لأن الشركة أفلست ·· أو لأنها تريد الاستغناء عن عدد من الموظفين ·· ومثل ذلك أيضا ما يقع للانســـان من عشرات الحوادث كل يوم ·· التى هى تخرج عن ارادته ·· ولا يستطيع أن يتحكم فيها ··

وهناك الجزء الاختيارى·· الذى لارادة الانسان دخل فيه ·· وهذا له قوانين وضعها الله سبحانه وتعالى ·· فالذى يعمل مثلا يحصل على نتيجة عمله ·· كل شىء له أجر وله مقابل ·· ورزقك لابد انه آتيك ·· هذا هو موضوع البحث ···

كل عناصر الرزق موجودة فى الأرض ·· ولكن المهم أنها تصل اليك ·· تماما كما تشترى لبيتك كل ما يحتاجه طوال الشهر ·· وتخزنه وتضعه فى البيت ·· اذن الرزق موجود فى البيت ·· كل عناصره موجودة ومتوافرة ·· وفى

متناول يدها ·· والذين يقولون التوكل ·· ويثيرون هذه القضية بهذا المعنى ·· انما هم أولئك الذين يريدون أن يفروا من كل عمل يورثهم تعبا ·· أما كل عمل يورثهم لذة ·· لا يؤمنون بالتوكل فيه ·· فهم يناهضون أنفسهم ·· ويحاولون الهروب من أى تعب ·· أنه يتوكل حتى يصل الرزق اليه ·· ويوضع الطعام أمامه ·· ولكن عندما يوضع الطعام أمامه ·· وهو جائع ·· فأنه ينسى فى هذه اللحظة ما كان ينادى به ·· ويبدأ فى تناول الطعام ·· باذلا بذلك جهدا فى تناوله ومضغه حتى يشبع جوعه ·· فلماذا لا يتوكل حتى يدخل الطعام الى بطنه ·· دون أن يبذل أى جهد ·· ولماذا هنا فى هذه النقطة بالذات التى تتعلق بلذة الطعام ·· واشباع الجوع ·· لم ينتظر ويتوكل حتى تدخل اللقمة فمه ·· ثم تنزل الى معدته حتى تملأ بطنه ·· اذن أنت توكلت فيما يتطلب منك مجهودا ·· أما فيما يحقق لك لذة فعلت ·· ولو كنت صـــادقا فى التوكل عندما وضع أمامك الطعام ·· ظللت جالسا بلا حركة ·· ولا مجهود ·· حتى يدخل الطعام فى فمك ··

ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى يوفر لنا أسباب الرزق كلها فى الأرض ·· تماما كما يقول صاحب البيت للمسئولة عن البيت : ان كل ما تحتاجينه خلال الشهر موجود عندك فى المخزن ·· كونها لا تريد أن تتعب نفسها وتعد الطعام ·· هذه مسألة أخرى ··

وأولا يجب أن نحدد ما معنى كلمة الرزق ·· الرزق تنتظر حتى يصلك حلالا ·· فوصل اليك عن طريق الحرام ·· وأنت ستأخذه ·· سيصلك حتما ·· ولكنك تعجلت ·· ولم ولو لم تغتصبه ·· وترتكب الذنب لكان قد وصل اليك حلالا ·· ولكن الله سبحانه وتعالى يشاء في قدره أن يبين لنا أن الأسباب لا تملكه ·· أنه هو الذى قرر الأسباب ·· وهو الذى وضع لها نتائج ·· مشيئته هى النافذة ·· لكى تعرف وتؤمن أن قدر الله لا تملكه الأسباب ·· يقول الله سبحانه وتعالى لكى تعرف أن الأسباب لا تملكنى ·· فسأحرمك من أشياء تسببت فيها وتعبت · وذلك حتى لا تفهم أن عملك هو الذى يرزقك ·· سأجعلك تعمل عملا ·· ويفشل ·· تزرع الأرض لتسقيها وتعتنى بها ·· وتبذل فيها كل جهدك ·· وتأخذ بكل الأسباب ·· ثم يهلك المحصول ·· ثم بعد ذلك يأتى لك رزقك من حيث لا تدرى ولا تحتسب ·· وأمامنا الأمثلة كثيرة فى الدنيا ·· لابد يكون لديها مساحة شاسعة من الأرض المزروعة المعتنى بها والجيدة المحصول ·· ثم يأتى أعصار أو فيضان ·· فيهلك كل هذا ·· تصبح البلد لا تملك غـــذاء يومها ·· ولا ما يكفى قوت أبنائها ·· ثم تسارع الــدول الأخرى الى نجدتها ·· فيأتيها الرزق من حيث لا تحتسب ولا تدرى ·· وتفاجىء بهذه الدولة تعطى ·· وهذه الدولة تعطى ·· من حيث لم تكن تحتسب ولا تدرى ·· أن الرزق سيأتيها من هذا المجال ·· وذلك حتى لا نفهم أن الأسباب وحدها هي التى تعطى ·· وبعد ذلك يأتينا الرزق من مكان لم

نكن نتوقعه ·· كأن يظهر محصول وفير غير متوقع فى منطقة أخرى من نفس البلد ·· والانسان عنده أمرين ·· أمر أن يعمل لكى يصل الى الرزق ·· وهذا أمر صريح ·· وأمر آخر ألا يتكل على العمل ·· ويتجاهل قدرة الله وقدره ·· ولذلك يقال : الجوارح تعمل والقلوب تتوكل ·· فالتوكل صفة القلوب ·· وليس صفة الجوارح ·· الجوارح مطلوب منها أن تعمل ·· ولا أفهم أن هذا العمل يمكن أن يترك بحيث لا يؤدى بواسطة الجوارح ·· وأن يعطى الانسان لنفسه صفة عدم العمل بحجة التوكل ·· ولقد شرحت هذه المسألة بوضوح فى الحج ·· عند السعى مثلا ·· وقلت : هذا أ ب يترك امرأة ووليدها فى مكان ليس فيه السبب الأول من أسباب الحياة ·· وهو الماء ·· وعندما قالت له زوجته أين تتركنا فى هذه الصحراء الجرداء التى ليس بها نقطة ماء واحدة ·· أنت تفعل هذا بأمر الله ·· أم بأمرك أنت ·· فلما قال لها ان ذلك بأمر الله ·· قالت : اذن لا يضيعنا ·· اذن فهى آمنت أن ما دام ذلك بأمر الله ·· وما دام ذلك أمرا ·· فان الله قد أعد مخرجا ·· ولكن هل منعها ايمانها ذلك حين عطش وليدها أن تذهب الى الصفا والمروة لتبحث عن بعض المارة ·· أو ظل ·· أو طير تهتدى به الى الماء ·· لا لم يمنعها ·· فذهبت الى الجبل من ناحية الصفا ·· ومن ناحية المروة ·· لتبحث عن المـاء علها تهتدى اليه ·· وكان يكفيها مرة واحدة ·· لكى تبرر لنفسها أنهما عملت ·· وأخذت بالأسباب لتهتدى الى الماء ·· ولكنها اجتهدت فى ذلك سبعة أشـواط ·· وهو أقصى ما يمكن

لمجهود امرأة مثلها أن تفعله ·· ثم تعبت ·· وربما لو لم تتعب لواصلت السعي ·· اذن فهي آمنت بأن الله لا يضيعها ·· وأنها موجودة هنا بأمر الله ·· ولكنها مع ذلك لم تترك العمل ·· ولم تترك الأسباب ·· وسعت بين الصفا والمروة حتى تعبت ·· ولم تستطع مواصلة السعي ·· سعت وسعت بقدر بالجهد ·· ولقد أراد الله أن يبين لنا من هذا حكمتين ·· فلو أنها وجدت الماء وهي تسعي ·· لكانت هنـــا الأسباب وحدها تكفي ·· ولكنه أراد أن يبين لنا أنه رغم اليقين بأن الله سيجد لنا مخرجا ·· فان السعي واجب ·· أو العمل واجب ·· والحكمة الثانية ·· أنها بعد أن قامت بهذا المجهود ·· وجدت الماء تحت قدمي طفلها ·· وكأن الله أراد أن يقول لها ·· أنت سعيت وعملتي ما في جهدك ·· وأنا لم أضيعك وأخرجت لك الماء بضربة من قدم طفل وليد ·· ولكنها رغم ذلك لم تضيع الأسباب ·· وسعت ·· ومن هنا فأن التوكل هو عمل القلب ·· وليس عمل الجوارح ·· والناس تأخـــذ التوكل على أنه عمل الجوارح ··

الخمر هل هى محرمة ؟

لم أدخل فى حياتي فى مجالات حول موضوع دينى مثل موضوع الخمر •• وتحريمها •• ذلك أن هذا الموضوع تجد فيه أكثر من انسان يتطوع بالفتوى ••

بل اننى شهدت بعض الناس بعد صلاة العشاء لا مانع عنده من أن يذهب الى حفل ويتناول كأسا من الخمر •• فاذا جادلته يقول لك : ان الخمر ليست محرمة •• أنها مكروهة •• فاذا قلت : بل محرمة •• قال لو أنها محرمة لقال الله : حرمت عليكم الخمر •• ولكنه قال « انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه •• »

ولكن لا يوجد فى القرآن كله حرمت عليكم الخمر •• وانما يقول الله : فاجتنبوه •• واجتنبوه فى رأى بعض الناس معناه أنه مكروه أو غير مرغوب فى تناوله ولكن التحريم هنا غير قاطع كالميتة والدم ولحم الخنزير •• وغير ذلك •• ويمضى الجدال •• بل أذكر اننى فى مرة وكنا نتحدث فقال أحد الحاضرين •• انه يتمنى أن يحج •• وأضاف أنه

بعد الحج سيأتى ويشرب كأسا واحدة كما يفعل الآن ٠٠ وأنه لا يرى فى ذلك اثما ٠٠ الى آخر هذه المسألة ٠٠ والعجيب اننى لاحظت ان الخمر هى اثم بالفطرة ٠٠ ما من مجلس فيه خمر وفيه انسان لا يشرب الا شعر جميع الحاضرين بالذنب ٠٠ وأحسوا أنهم يرتكبون اثما ٠٠ واثما كبيرا ٠٠ لمجـــرد وجود انسان معهم لا يتناول الخمر ٠٠ حتى ولو كانوا جميعا من غير المسلمين ٠٠ حتى لو كانوا من الملحدين الذين لا يؤمنون بالدين ٠٠ شىء داخلهم يؤرقهم ٠٠ يعذبهم ٠٠ ويبدأ كل واحد منهم يبرر تناوله للخمر ٠٠ ثم يبدأون جميعا فى محاولة اقناع ذلك الذى لا يتناول الخمر ٠٠ بتناولهـــا ٠٠ بعضهم لا يفهمه ولا يعرف تأثيره ٠٠ انما المهم أن وجود شخص اقناعه بأنها ليست حراما ٠٠ وآخرون يحاولون اهانته ٠٠ فى محاولة لدفع الألم الذى يرقد فى داخلهم ٠٠ وهم جميعـــا فى تصرفاتهم المليئة بالعصبية ٠٠ وعدم ضبط النفس انما يحاولون أن يدفعوا اثما فطـــريا يحسون به ٠٠ وان كان بعضهم لا يفهمه ولا يعرف تأثيره ٠٠ انما المهم أن وجود شخص واحد لا يشرب وسط مجموعة من يتناولون الخمر ٠٠ يشعرهم بالاثم ولو لم يقل كلمة واحدة استنكارا لما يفعلون ٠٠ وأعتقد أن الاثم الفطرى فى الخمر ٠٠ أقوى منه فى أى من المحرمات الأخرى ٠٠ وقوة هذا الشعور بالاثم كانت تجعلنى دائما أومن ان الخمر من أكبر الكبائر ٠٠

ومهما قيل ٠٠ فما زال هناك من يجادل ان الخمر ليست محرمة ٠٠ وانها لو كانت محرمة تحريما قاطعا لقـــال الله

سبحانه وتعالى : حرمت عليكم الخمر ·· ولكن قوله تعالى : فاجتنبوه دليل على أنها مكروهة فقط ·· أو انه مطلوب من الانسان أن يتجنبها ··

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى : أن تحريم الخمر فى القرآن تحريم قاطع لا شك فيه ولا يصح الجدال حوله ·· بل ان قول الله سبحانه وتعالى ·· فاجتنبوه أقوى وأبلغ وأشد تحريما ·· مما لو قال الله سبحانه وتعـــالى حرمت عليكم الخمر ··

ولنبدأ القصة من أولها ·· لنعرف كيف ان الله سبحانه وتعالى قد حرم الخمر بشكل قاطع ·· بل أنه قد حرم حملها والجلوس على مائدة يتناول فيها الناس الخمر ·· والجلوس مع من يتناولونها ·· والاقتراب منها بأى شكل من الأشكال ·· يلاحظ مثلا ·· ومنذ بدء الخليقة ·· ان الحق سبحانه وتعالى حين قال لآدم كل من كل شيء فى الجنة ·· ولا تأكل من هذه الشجرة ·· قال لآدم وحواء وهو يأمرهما بالامتناع عن الأكل من الشجرة المحرمة ·· لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة ·· وانما قال الله : لا تقربا هـــذه الشجرة ·· ما الفرق بين أن يقول الله سبحانه وتعالى : لا تأكل من هذه الشجرة ·· وأن يقول لا تقربا هذه الشجرة ·· فكأن محارم الله يجب أن تبتعد عن نطاقها لا تقاربها أبدا ·· لا تقترب منها أبدا لأن قربك منها قد يغريك بها ·· قد يفتح باب الشيطان فى نفسك فتقع فى المعصية ·· اذن لا تقربا أبلغ وأشد فى الاحتياط من

لا تأكلا ·· لأنه اذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال : لا تأكلا ·· لكان من الممكن أن يذهب الانسان الى الشجرة ويجلس بجوارها ·· ويتغزل فى محاسنها ·· وينظر الى ثمـــارها بحسرة ·· ولكنه لا يأكل منها ·· وحينئذ لا يكون مخالفا لأمر الله ·· ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجنب البشر ذلك الـــذى يقربهم من المعصـــية ويفتح فى نفوسهم باب الشيطان ·· ومن هنا حين قال لآدم وحواء لا تقربا هـــذه الشجرة ·· كان يعني : لا تقتربا منها أبدا ·· لأن القرب منها هو بداية المعصية ·· وفتح الباب أمام هـــوى النفس واغراء الشيطان ·· ولذلك يلاحظ فى القرآن أن كل شيء محرم يقول الله سبحانه وتعالى : تلك حدود الله فلا تقربوها ·· لكن فى المحللات يقول فلا تعتدوها ·· فى الشيء المحلل يقول الله سبحانه وتعالى هذه حدود الله ·· فلا تعتدوها ·· أى لا تتعدوها ولكن فى المحرمات·· يقول الله فلا تقربوها·· أى لا تقتربوا منها ·· ابتعدوا عنها ·· ولقد نشأت مشكلة عند كثير من الناس هذه المشكلة تتعلق بالخمر ·· سمعت كثيرا من الناس يقولون : ان الخمر لم ترد فى النص التحريمى للقران ·· كما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير ·· لم يرد نص فى القرآن يحرم الخمر هذا التحريم القـــاطع ·· ولكن الله سبحانه وتعالى قال : اجتنبوه فقط ·· ولم يقل أنه محرم عليكم ·· كأنه يفهم ان كلمة اجتنبوه ·· أخف من التحريم ·· بل لا يحمل معنى التحريم القـــاطع ·· ونحن نقول لمن يردد هذا القول : انك لم تفهم مدلولات اللغة ·· ولا مداولات

القرآن ‥ الاجتناب أقوى من التحريم ‥ بدليل ان الاجتناب جاء فى قمة العقيدة ‥ فى قمة الايمان ‥ قال الله تعالى : والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ‥ وقوله تعـــالى : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) ‥ اجتناب ‥ وفى ماذا ؟ ‥ فى قمة الايمان ‥ فى قمة العقيدة ‥ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ‥ هل معنى ذلك فى منطق هؤلاء أن عبادة الشيطان غير محرمة ‥ بل مكروهة ‥ واجتنبـــوا الرجس من الأوثان ‥ هل معنى ذلك أن عبادة الأصنام غير محرمة ‥ بل مكروهة ‥ هل هذا منطق ‥ بل معناه الحقيقى والظاهر والواضح من نص القرآن ‥ ان الاجتناب أقوى من التحريم مئات المرات ‥ والا لم يكن الله سبحانه وتعـــالى ليستخدم هذا اللفظ فى قمة العبادات وفى قمة الايمان ‥ لو أن معناه يحمل ولو ظلا يسيرا من الاباحة أو عدم التحريم ‥ بل لو أن معناه لم يكن يحمل التحريم القاطع ‥ وعدم الاقتراب من هذا الشىء تماما ‥ وكلية ‥ والابتعاد عنه وعن كل ما يقرب منه وكل ما يؤدى اليه ‥ اذا فكلمة اجتنبوه وهذا مدلولها من القرآن الكريم لا تحمل فقط معنى التحريم ‥ بل تحمل معنى التحريم القاطع ‥ وعدم الاقتراب من هذا الشىء تماما ‥

وانتقل الشيخ محمد متولى الشعراوى فى حديثه الى النقطة الثانية وهي : لماذا لم يذكر تحريم الخمر بنص تحريمى مثل تحريم الميتة والدم ‥ لماذا لم يقل الله سبحانه وتعـالى

فى كتابه العزيز حرمت عليكم الخمر ٠٠ وكان الى هنا ينتهى الجدل ويختفى كل انسان يريد أن يوهم الناس بأن الخمر ليست محرمة ٠٠ يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى : اذا قيل لك لا تكلم فلانا فيكفى لكى تنفذ هذا الأمر ٠٠ وتلتزم به أن لا تتحدث مع هذا الشخص الذى طلب منك عدم الكلام معه ٠٠ أو حرم عليك الكلام معه ٠٠ يمكنك مثلا أن تلقاه ٠٠ يمكنك أن تجلس معه فى مكان واحد ٠٠ وأن تأكل معه ٠٠ وأن تعيش معه فى حجرة واحدة ٠٠ والمطلوب منك فقط ألا تكلمه ٠٠ وحينئذ تكون منفذا للأمر الذى صدر اليك ٠٠ رغم أنك تعيش مع هذا الشخص وتعايشه ٠٠

ولكن اذا قيل لك اجتنب هذا الشخص ٠٠ فأنك لكى تنفذ هذا الأمر يجب أن تبتعد عن كل مكان يوجد فيه ٠٠ لا تستطيع أن تأكل معه ٠٠ ولا أن تجلس معه ٠٠ ولا أن تعيش معه فى حجرة واحدة ٠٠ واذا وجد فى مكان ما فعليك أن تغادره فورا ٠٠ واذا وجدته فى الطريق ٠٠ عليك أن تتجنبه وتتخذ طريقا آخر ٠٠ فأيهما أبلغ فى التحريم ٠٠ أن يقال حرمت عليكم الخمر ٠٠ أو أن يقال فاجتنبوه ٠٠ طبعا الاجتناب أقوى كثيرا من التحريم ٠٠

ولذلك حينما استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة اجتنبوه فى تحريم الخمر ٠٠ كان يريد أن يجعل هذا التحريم فى أقوى صورة ٠٠ وفى أقصى درجاته ٠٠ فلو قال الله سبحانه وتعالى حرمت عليكم الخمر ٠٠ فى هذه الحالة قد يجوز لى أن أحمل

الخمر لمن يشربها ·· ولا أكون مخالفا لأمر التحريم ·· قد يجوز لى أن أصنع الخمر أو أتاجر فيها أو أفتح ملهى أو مكان يشرب فيه الناس الخمر ·· أو أن أقدم لضيوفى فى المنزل ·· وأجلس معهم وهم يشربوها ·· وأن أتواجد فى المجالس التى يتناول فيها الناس الخمر دون أن أرتكب اثما ·· أستطيع أن أفعل كل هذا ·· وأقول أن الله سبحانه وتعالى قال : حرمت عليكم الخمر ·· وأنا لا أشربها وان كنت أصنعها أو أتاجر فيها وأقدمها لضيوفى فلا اثم على ولا معصية ارتكبتها لاننى ملتزم بالنص التحريمى ··

ولكن قول الله تعالى : فاجتنبوه ·· معناه أنه ممنوع على المسلم أن يتواجد مع الخمر فى أى مكان ·· معناه أن أجتنب أن أجلس فى مكان تقدم فيه الخمر ·· أو مع أناس يشربونه ·· أو أحمله لمن يشربه ·· أو أتاجر فيه وأتخذه وسيلة للرزق ·· معناه أن أجتنب كل هذا ·· ويأتى الحديث الشريف مفسرا لهذا النص ·· لعن الله الخمر وشاربها وحاملها الى آخر هذا الحديث ··

ومن هنا تظهر الحكمة فى قول الله سبحانه وتعالى اجتنبوه ·· ولكن لماذا كان هذا التحريم القاطع ·· لأن للمحارم حمى ·· ومن حام حول الحمى سقط فيه ·· ولأن الخمر من الكبائر ·· وأنت ان شاركت فيه بأية صورة من الصور حتى بالتيسير لمن يريد أن يتناول الخمر بأن تقدمها له أو تبيعها له ·· فأنت ميسر لأثم يحدث ·· ولأن مجلس الخمر يحدث فيـــه من

المحرمات والمعاصي ما يمس كل الحاضرين ·· حتى أولئك الذين لم يشربوها ·· لأنه مجلس يكون فيه الاثم ميسرا ·· والشيطان مسيطرا ·· ومن هنا كان التحريم قاطعا وشاملا ··

فاذا قال لك أحد من الناس أنه لم يرد فى القرآن نص بتحريم الخمر ·· نص تحريمى واضح ·· فقل له بل آن هناك نص يحرم حق التواجد مع الخمر فى مكان واحد ·· هناك نص يقول لنا اجتنبوه ·· وهو أقوى من التحريم لأن الله قد استخدم هذا النص فى قمة الايمان ·· فى قمة العبادة ·· استخدمه فى تحريم عبادة الشيطان ·· وعبادة الأصنام ·· وكلاهما من أكبر الكبائر لانهما يمثلان الشرك بالله ·· وهذا أكبر خطيئة يمكن أن يرتكبها انسان ··

النفس البشرية حين تأتي اليها أوامر الله ·· افعل ولا تفعل ·· فقد تنسى وقد تضعف ·· وهذه هي طبيعة البشر ·· ثم تعود النفس الى الله سبحانه وتعالى تطلب الصفح والمغفرة ·· ولكي يقى الله النفس البشرية من ضعفها طلب منا أن نتجنب الكبائر ·· أي لا نقترب منها ·· لأن مجرد الاقتراب منها يؤدي الى السقوط فيها ··

هذه كلمة لابد منها حتى يمكن الرد على تفسير خاطىء قد وضعه بعض الناس الذين ادعوا أن القرآن لم ينص على تحريم الخمر ·· وليعرف الجميع الحقيقة ·· وليعلموا قوة تحريم الخمر فى الاسلام ··

بحث عن الروح

ان كل الأبحاث التي تجرى عن الروح هى مجرد عبث .. ذلك أن الروح لا يمكن أن تضعها فى معمل .. ولا تجرى عليها تجارب .. ولكن أين الحقيقة من كل ما يقال وينشر ..

البحث عن الروح يشغل الانسان فى كل زمان ومكان .. ذلك أنها سر الحياة التي عجز عن الوصول اليها البشر عبر السنين .. ورغم أن الروح لا تدخل فى طاقة البحث العلمى .. فلا هى شىء يستطيع الانسان أن يراه أو يمسكه أو يضعه فى معمل نيجرى عليه تجاربه .. وكل ما يقال عنها ما هو الا على سبيل الظن والتخمين .. الا أن الانسان ما زال يحاول أن يعرف شيئا ..

بعض العلماء يقول أن الروح لها وزن ويستدل على ذلك من أن الانسان عندما يموت يفقد جزءا من وزنه فجأة .. والبعض الآخر ينكر أن لها وزنا .. بعض الناس يحاول أن ينكر وجود الروح .. ويسميها الزمن أو الطبيعة .. وحيرة العلماء سجلها القرآن منذ أربعة عشر قرنا .. عندما قال الله

تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ·· وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ··

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى : هناك الروح وهناك النفس ·· والنفس هى التقاء الروح بالمادة ·· فاذا التقت الروح بالمادة ·· فهذه هى النفس ·· ولذلك فان التكليف للنفس الانسانية ·· التكليف ليس للروح وحدها ·· ولكن للنفس ·· فحين تلتقى الروح بالمادة تنشأ الحياة الأرضية ·· أو تنشأ النفس ·· حين نفهم كلمة الروح ·· فأننا نقصد ما به حياة المادة ·· ما به حياة المادة هذا ·· أهو ارادة الله لها أن تحيا ·· أهو مجرد ارادة الله ·· فاذا سلب الله هذه الارادة ذهبت الحياة ·· وانتهت واختفت ·· أم هو عنصر يدخل مع المادة ويكون منها الحياة لأجل معين ·· ثم تنتهى هذه الحياة ··.

هناك عدة آراك للعلماء فى هذا الموضوع ·· ونعود الى الآية الكريمة ·· « ويسألونك عن الروح » ·· حينما سئل الرسول عن الروح ·· كان السائلون يريدون أن يعرفوا ما هى الروح ومن ماذا تتكون ·· وهنا رد الله سبحانه وتعالى أن علمكم لن يصل الى هذا أبدا ·· أنتم تسألون ما هى الروح ·· وأنا أقول لكم ان علم البشرية لن يصل اليها ·· لن يصل اليها جزما ويقينا ·· والذى كان يجب أن يسألوه عنه من أين جاءت هذه الروح ·· لأنك أنت استفدت بهذه الحقيقة ·· حقيقة الروح سواء علمت بها أو لم تعلم ·· والانتفاع بالشىء

لا يقضي أو لا يقتضي العلم به ٠٠قد تبدوا هذه العبارة متناقضة ٠٠ ولكن سأفسرها لك ٠٠

الأمي يستخدم الكهرباء ٠٠ ويضع يده على الجرس فيحدث رنينا ٠٠ ويضع يده على مفتاح النور فتضيء الحجرة ٠٠ هل يعرف هذا الرجل الذى لا يقرأ ولا يكتب حقيقة الكهرباء ٠٠ أبدا ولكنه ينتفع بها ٠٠ بل أنت فى حياتك ملايين الأشياء التى تنتفع بها ولا تعرف شيئا عن حقيقتها ٠٠ هل يعرف كل من يركب الطائرة حقيقة الطيران ٠٠ هل يدرى كل من يستخدم التليفون كيف تتم المكالمات التليفونية ٠٠ هل يعرف كل من يستخدم القمر الصناعى مثلا فى اتصاله بالخارج ٠٠ كيف تتم الاتصالات عن طريق القمر الصناعى ٠٠ هل يدرى كل من يشاهد التليفزيون الحقيقة التى يتم على أساسها نقل الصورة ٠٠ أبدا ٠٠ ملايين يركبون الطائرات ويجهلون نظرية الطيران ٠٠ عشرات الملايين يتحدثون فى التليفون ولا يعرفون شيئا عن حقيقته ٠٠ ومئات الملايين فى العالم ينتفعون بالتليفزيون دون أن يعرفوا شيئا عن حقيقته ٠٠ اذن انتفاعك بالشيء لا يعنى بالضرورة أنك تعرف حقيقته تماما ٠٠ ومع ذلك تنتفع به ٠٠

اذن أنت تنتفع بالروح ٠٠ وأن كنت تجهل ما هى ٠٠ ولا يعنى أن الله قد حجب حقيقتها عنك أنك لا تستطيع أن تنتفع بها ٠٠ أنها فى داخلك ٠٠ فى داخل كل جسد حى ٠٠ تهبه الحياة والحركة والقدرة ٠٠

نعود بعد للآية الكريمة ‥ يقول الله سبحانه وتعالى : « قل الروح من أمر ربى » ‥ اذن الروح من أمر الله ‥ ماذا نعنى كلمة أمر الله ‥ نعود الى القرآن الكريم ‥ كلام الله ‥ نرى أمر الله فى القرآن ‥ كيف ورد ‥ نجـــد الآية الكريمة ‥ « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ‥ اذا أمر الله سبحانه وتعالى هى ارادة الله لهذا الجسد أن يحيا ‥ الارادة ‥ كلمة كن ‥ اذن هى ليست شيئا يدخل ويلتئم مع المادة ‥ ليعطيها الحياة ‥ ولكنها الارادة ‥ ارادة الله سبحانه وتعالى لهذا الجسد أن يحيا ‥ هذا رأى عدد من العلماء ‥ ان الحياة هى ارادة الله ‥ اذا أراد الله لهذا الجسد أن يعيش دبت فيه الحياة ‥ واذا أراد لهذا الجسد أن يموت ‥ خرجت منه الحيـــاة ‥ هـــذا رأى فريق من العلماء ‥

نعود بعد ذلك الى القرآن الكريم ‥ يقول الله سبحانه وتعالى : « حتى اذا بلغت التراقى ‥ وقيل من راق ‥ وظن أنه الفراق » ‥ ان الله سبحانه وتعالى يتحدثون عن الروح هنا وهى تغادر الجسد ‥ وهى تخرج منه ‥ انه يتحدث عن لحظة الموت ‥ لحظة الفراق بين الجسد والروح ‥

اذن فالله سبحانه وتعالى عندما يتحدث هنا عن الروح ‥ يتحدث عن شىء له خروج وله دخول ‥ أى أنها عنصر تام ‥ ولكن هل هناك مانع من أن تكون ارادة ‥ وفى نفس الوقت لها كيانها واستقلالها ‥ هل هناك تناقض ‥ أبدا

ذلك أن الله اذا أراد أن يهب لجسد الحياة ٠٠ أدخل له ذلك العنصر ليعطيه الحياة ٠٠ فاذا أراد أن يسلب منه الحياة ٠٠ أخرج من جسده ذلك العنصر الذى يعطيه الحياة ٠٠ اذن كون الروح عنصرا تاما ٠٠ لا يتناقض أبدا مع كونها من ارادة الله ٠٠ ومشيئته التى لا يعلمها أحد غيره ٠٠

فاذا جاء بعض العلماء وقالوا أنهم وضعوا بعض الذين يحتضرون فوق ميزان حساس ٠٠ ثم لاحظوا لحظة الوفاة أن الجسم يفقد جزءا فجائيا من وزنه ٠٠ وأرادوا بذلك أن يدللوا على أن هذا الوزن هو وزن الروح ٠٠ وأن الروح شيء مادى له وزن ٠٠ ولو وزنا يسيرا ٠٠ نقول لهم ٠٠ أبدا ٠٠ أن ما تقولونه ليس علما ٠٠ لكنه ظن فقط ٠ أى أنكم تظنون ذلك ٠٠ فقد يكون هذا الوزن نتيجة خروج كمية من الهواء من الجسد ٠٠ أو نتيجة توقف سريان الدم ٠٠ أو نتيجة أى شيء مادي يحدث فى الجسد ٠٠ أى تفاعل مادى لم يصل اليه العلم ٠٠ أما أن نجزم ونقول ان هذا هو وزن الروح ٠٠ وأن الروح لها وزن ٠٠ الى آخر هذا الكلام ٠٠ فهذا ليس علما ٠٠ انما مجرد تخمين وظن ٠٠

ربما يقول انسان ٠٠ أنك أثبت ٠٠ وبما يتمشى مع نصوص القرآن ان الروح رغم كونها ارادة الله ٠٠ وكلمته ٠٠ الى أنها عنصر تام ٠٠ أقول أن هذا النص القرآنى حقيقة وشيء ليس فيه أى تعارض ٠٠ ولكي أقرب هذا النص الى الأذهان ٠٠ أقول أنك اذا أخذت ابنك الصغير ٠٠ وذهبت الى

مكان ·· الى محل يبيع أى شيء ·· ورغب ابنك في شيء ·· أى أنه أراد شيئا ·· هذا الشيء الذى رغبه ابنك شيء له كيان ·· ولكن حصول ابنك عليه يخضع لارادتك ·· فاذا قلت للبائع أعطه له ·· أعطاه له لأنه يعرف أنك ستدفع ·· اذا قلت له لا تعطه له ·· منعه عنه لأنه يعرف انك لن تدفع ·· اذن كون الشيء له كيان ·· لم يسلبه ذلك عن ارادتك ·· فحصول الصغير عليه أو عدم حصوله ·· يخضع لارادتك أنت ·· ولكلمة نعم أو لا منـــك ·· فاذا كان ذلك جائز ومنطقيا فى أمر البشر ·· فكيف لا يكون فى أمر الله ··

وهذا من أعجاز القرآن ·· ذلك أن القرآن يعطى النص الذى تحتمله جميع العقول ·· فى كل العصور ·· هذه هى ميزة النص ·· ولكن هل الأول يبطل الثانى ·· أبدا ·· الروح هى أمر الله حقيقة ·· وكون أن لها كيانا تاما لا يبطل أنها من أمر الله ·· كون أن لها جوهرا لا يعنى أبدا أنها ليست من أمر الله ·· وأمر الله اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ·· قد تكون كل ارادة الله شيئا ليس له جوهر ·· مستقل ·· وقد تكون كلمة كن بأن يدخل الله فى الجسد الحياة ·· كلاهما أمر الله ·· وكلمته ·· سواء كان للروح جوهر أو لم تكن ··

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الروح نفسا ·· فقـــال تعالى : « ونفخت فيه من روحى » ·· والنفخ معناه اخراج الهواء من حيز الصدر الى المنفوخ فيه ·· اذن فأن هناك شيئا

دخل الى جسد الانسان بكلمة كن ·· نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه ·· فدخل شيء في جسد الانسان وهبه الحياة ·· بكلمة كن ·· وظل الانسان يتنفس أى يعيش·· طالما ارادة الله تريد له ذلك ·· فاذا توقف النفس ·· خرجت الروح ·· ولكن البحث العلمى فى مسألة الروح ·· وكون أن لها وزنا ·· أو ليس لها وزن ·· نوعا من العبث ·· ذلك أن أحدا لا يستطيع ولن يستطيع أن يمسك الروح ويدخلها المعمل ليجرى عليها تجارب أو يزنها ليعرف اذا كان لها وزن أم لا ·· اذن الجزم بشيء هنا ·· مجرد عبث ·· لأنها غابت عن امكانيات علم الأرض ·· اذن امتنع عن البحث فيها ·· ما دمت لا أملك امكانيات التجربة ·· وان كنت أعرف يقينا ·· ان الروح علامة وجودها هى النفس ·· وان الروح تغادر الجسد يقينا متى توقف الانسان عن التنفس ·· مصداقا لقوله تعالى ونفخت فيه من روحى ··

حديث عن الآخرة

الحديث الآن مع الشيخ محمد متولى الشعراوى عن الآخرة .. وحديث الآخرة محتاج الى مجلدات .. ذلك أن فيه فيض من الأشياء التى أخبر الله الناس بها .. وفيض من الأشياء التى لم يخبر الناس بها .. أشياء لا يعلمها الا الله ..

والمعروف أن الانسان طالما هو حى .. فانه يرى ويسمع ويتكلم .. ولكنه اذا انتهت حياته صمت .. وسكن كل شيء فيه .. هذا هو الظاهر .. ولذلك فان كثيرا من الكتاب يعبر عن الحياة .. بأنها الحركة .. ويعبر عن المـــوت .. بأنه السكون والصمت والنهاية .. وهذا مفهوم درج عليه الناس .. ولكن هناك حديث شريف يقول : الناس نيام .. فاذا ماتوا انتبهوا .. اذن فالحياة يكون الانسان فيها كالنائم .. لا يرى شيئا من حقائق الآخرة .. فاذا مات .. فان هذا هو الانتباه .. وليس هو السكون .. وهو الرؤية .. وليس هو عدم الرؤية ..

كيف يكون ذلك .. مع آننا نعتمد فى التصديق فى

حياتنا .. على ما نراه ونحس به .. ولقد كان الحوار مع الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف وشئون الأزهر حول معنى هذا الحديث الشريف .. أو على الأصح حول كلمة « انتبهوا » كيف ينتبه الانسان بعد الموت .. وكيف وهو فى الحياة نائم .. وما هو معنى الحديث الشريف ..

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى .. اذا أردنا أن نفهم معنى هذا اللفظ .. فأننا يجب أن نسأل أنفسنا .. ما هى وسيلة الرؤية فى الدنيا .. أنها العين كما نعرف جميعا .. ولكنها فى الحقيقة ليست العين وحدها .. بل هى الحديث أثناء صحوة النفس .. ذلك أن الانسان حين يكون نائما لا يرى .. ولا يبصر .. وانما هو يبصر فى صحوة النفس فقط .. أى أن صحوة النفس هى التى تعطى للجسد حواسه ..

والآخرة مؤكدة .. وكذلك الموت .. ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا أرى يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت .. رغم أن كل انسان متأكد أنه سيموت .. فمنذ خلق آدم حتى الآن لن يشذ انسان واحد عن الموت .. رغم هذا فهناك شك فى كل نفس بشرية عن موتها .. كل نفس لا تتوقعه الآن ويتقدم بها العمر ويتقدم .. وتتوقع كل شيء الا الموت .. ويملأها الأمل .. فأنه لا زال أمامها أعوام طويلة من الحياة .. حتى أولئك الذين تجاوزوا سن الستين مثلا .. وهو متوسط العمر .. لا تجد الواحد منهم على يقين أنه سيموت خلال شهور .. بل الأمل يملأ نفسه .. بأن

أمامه فترة طويلة ٠٠ ورغم أنه قد يتحدث ويقول للناس : العمر خلص ٠٠ هو احنا حنعيش ٠٠ فاضل لنا أد ايه ٠٠ الى آخر هذه الكلمات التي نسمعها ٠٠ ألا أنه في قرارة نفسه يؤمن أنه لا زال أمامه فترة طويلة ٠٠

فالذى كان يحدث به كل شخص عن الآخرة ٠٠ ولا يصدقه ٠٠ سيأتي يوم ويراه أمامه واضحا جليا ٠٠ كما يرى كل شيء في الدنيا ٠٠ سيأتى اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا ٠٠ اذن يرى كل الآثار التى حدث عنها ٠٠ والتى وردت فى القرآن والأحاديث ٠٠ يراها جميعا ويشهدها ٠٠ ومن هنا ٠٠ وحينئذ يصدق فيه قول الله تعالى : فبصرك اليوم حديد ٠٠ ومن هنا يعرف يقين الآخرة ٠٠ وهو شيء لم يكن يفهمه في الحياة الدنيا أيام صحوه ٠٠ أيام كان حيا متيقظا ٠٠ واليوم بعد ان ترك الحياة ٠٠ فهم ما بعد الحياة ٠٠

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ٠٠ ما معناه أننى حدثتكم بأن هناك نارا ٠٠ وكان يجب عندما أحدثكم عن هذا ان تأخذوا هذا الحديث متيقنين مما أقول ٠٠ علم اليقين ٠٠ ثم لترونها عين اليقين ٠٠ أى انكم سترون النار بأعينكم ٠٠ وقد اراها ٠٠ ولكنى لا أعذب بهـــا ٠٠ اى ليس من الضرورى اننى حين أرى النار لابد أن أعذب بها ٠٠ فالرويه شيء ٠٠ والعذاب شيء آخر ٠٠

ولذلك قال الله تعالى فى كتابه العزيز ٠٠ وأن منكم الا واردها كان على ربك حتمـــا مقضيا ٠٠ وقد فسر بعض

الناس هذه الرؤية على أساس أن كل انسان سيعذب ·· وأنه لابد أن يدخل النار أولا ·· ولكن الحقيقة أن ورود الشيء ليس يعني بالضرورة العذاب ·· فالعرب كانوا يقولون : ورد فلان الماء ·· معنى ذلك أنه وصل اليه ورآه ·· ولكن كلمة ورود لا تعنى أن الانسان قد شرب من الماء ·· فاذا قلت ورد فلان الماء ·· فليس معنى ذلك أنه شرب منه ·· وكذلك رؤية النار ·· فقول الله سبحانه وتعالى لترونها عين اليقين ·· ليس معنى ذلك أن كل انسان سيعذب في النار ·· ولكن كل انسان سيرى النار سواء كان صالحا ·· أو عاصيا ·· كلنا سنراها ·· وسنراها عين اليقين ·· أى يقينا ·· ونتيقن من وجودها ·· ثم يقول الله : فى الذين سيعذبون بها ·· فأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم ·· ومعنى ذلك أن هناك عدد من خلق الله الصالحين ·· ولكن لا يعذبون بها ·· أما الذى سيعذب بها ·· فهم المكذبين والضالين ·· والعاصين لأوامر الله ·· فاذا كان الحديث عن الآخرة ·· فهناك يقين فى أن كل خلق الله سيرون النار ·· وسيرون الأشياء التى تحدث بها فى القرآن·· التيأخبرهم الله بها وسيرونها بعيونهم ·· ويتيقنون منها ·· بعد أن كان بعضهم فى شك·· والبعض الآخر من المكذبين ·· فأنت لم تصدقه علم اليقـــين من الله سبحانه وتعالى ·· حين أخبرك به وأنت فى الحياة الدنيا ·· ولذلك أراه لك الله عين يقين بعد الموت ·· وبعد ذلك تدخل فى العذاب أو لا تدخل حسب أعمالك وحسابك وكتابك ··

بقى بعد ذلك معنى الآية الكريمــة ·· وان منكم الا واردها ·· ذلك أن هذه الآية يفسرها بعض الناس على أساس أن أحدا لن ينجو من العذاب ·· وأننا جميعـــا صالحين أو عاصين ·· مكذبين أو مطيعين سنعذب بالنار ·· وحتى نفهم هذه الآية فهمها الصحيح ·· يجب أن نفهم معنى كلمة واردها ·· ورود الماء معناه أتيان الماء ·· هذه هى العين ·· وقد وصلت اليها وسقيت ما شيتى ·· ولم أشرب أنا ومشيت قد يشرب من معى ·· ولكنى أنا لم أشرب ·· أذن الورود الذهاب الى مكان الماء ·· أما أن تشرب منه أو لم تشرب ·· فهذا موضوع آخر ··

وأن منكم ألا واردها ·· يريد الله أن يخبر عباده بفضله عليهم ·· فيقول لهم أنكم جميعا سترون النار ·· وستصلون اليها ·· ولكن وهنا يجب أن نفهم أن القرآن يشرح بعضه ·· يقول الله سبحانه وتعالى : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز فوزا عظيما » ·· فكأنما كل منا سيرى النـــار ·· ويتجه عباد الله الصالحين الى الســـماء ·· ويقولون يا ربى الحمد لله الذى أنجيتنا من الهول الذى رأيناه ·· وزحزحتنا عن النار ·· فالنجاة من النار ·· ولو لم يدخل الانسان الجنة ·· وظل فى الأعراف بين الجنة والنار ·· نعمة ·· ونعمة كبيرة ·· فما بالك لو زحزح عن النار وأدخل الجنة ·· يكون هذا فوزا عظيما ·· يكون قد تجنب عذاب النار ·· وفى نفس الوقت متع بنعيم الجنة ·· ذلك هو طريق الايمان ··

والطريق دائما هو الـــذى يقوده الى التهلكة ·· أو ينجى الانسان ·· فمثلا اذا بدأت تتخذ طريقا للسفر ·· ويقول لك أصدقاؤك ·· حاذر من هذا الطريق ·· أنه ملئ بقطاع الطرق ·· واللصوص ·· فاذا اضطررت أن تمشى فى هذا الطريق ·· فأنه يكون كل همك ألا يفاجئك أحد اللصوص أو قطاع الطرق ·· وليس همك مثلا أن تستريح قليلا ·· أو تتناول طعاما جيدا ·· أو تجلس فى مكان مريح ·· فى جو منعش ·· ذلك أن النفس حين تواجه الخطر يكون همها الأول ·· ضرب هذا الخطر وتجنبه ·· والهروب منه ·· ولا تطلب فى هذه المرحلة التمتع ·· حتى أنك اذا مشيت فى هـــذا الطريق الذى قيل لك أنه ملئ بالمخاطر ·· ووجدت بعض الناس يجلسون فيه ·· وقالوا لك تفضل ·· وتناول الطعام معنا ·· أو اجلس لتتناول معنا فنجان من الشاى ·· فأنك سترفض حتما ·· ذلك أنك ستتوقع الشر ·· وخوفك من الأذى يدفعك الى أن تجتاز المرحلة التى تنجو فيها من الخطر ·· وتبتعد عن هذا الطريق ·· فاذا ابتعدت عنه ·· واجتزته دون أن تتعرض لأى خطر ·· ثم وجدت بعد هذا الطريق بستانا جميلا ·· وأناسا طيبين أكرموك ·· فأن تمتعك فى هذه الحالة يكون مضـــاعفا ·· فشعورك بالأمان ·· وأنك نجوت من المكاره ·· يجعل تمتعك بما يقدموه لك ·· أكثر بكثير مما لو حصلت عليه فى ظروف عادية ·· فاذا كان هذا يصدق فى الدنيا ·· وفى خطر بسيط مثل خطر اللصوص او قطاع الطرق ·· وان كان يصدق فى نعيم بسيط مثل طعام

فى مكان آمن وسط حديقة جميلة ·· فما بالك بعذاب النار ·· وهولها ·· وشعور الانسان حين ينجو منها ويصبح آمنا ·· وما بالك بنعيم الجنة الذى ليس كمثله شيء ·· حين يصل الانسان اليه بعد أن يرى هول النار ·· ويشاهدها عين اليقين ·· ويصل الى الجنة ليتمتع بها ·· ماذا يكون شعورك ·· وكيف تحس بالسعادة وهى تغمرك ·· وبالفوز الكبير الذى حققه ·· بأنه زحزح عن النار ··

فاذا أردنا أن نفهم معنى الحديث الشريف ·· الناس نيام ·· فاذا ماتوا انتبهوا ·· نعرف أن الناس فى الدنيا نيام ·· عما ينتظرهم في الآخرة ·· بعضهم يصدق بيقين ·· وبعضهم يصدق بشك ·· وبعضهم يكذب ·· ولكنهم جميعا سيصلون الى مرتبة اليقين بعد الموت ·· ويرون كل شيء عين اليقين ·· وحينئذ ينتبهوا ويحسوا ·· بأنهم جميعا سيرون النـــار ·· ويمرون عليها ·· ويشهدون ويشهدون ·· من زحزح عن النار يجنب عذابها ·· ومن قضى له فيها ·· نال قضاء الله ··

معنى الجنـــة

ان النبى حين قال للمؤمنين وهم يبايعونه بأنهم يبايعونه ويدخلون الدين الجديد ٠٠ قال لهم : لكم الجنة ٠٠ وهذه فى نظر قانون النفعية صفقة رابحة جدا ٠٠ فالانســـان يتعلم ويشقى حتى الثلاثين من حياته تقريبا ٠٠ ليوفر لنفسه حياة مناسبة بعد هذا العمر ٠٠ ولمدة هو غير متيقن منها ٠٠ فقد يأتى أجله قبل هذه الفترة ٠٠ ففى هذه الحالة لا يحصل على شىء ٠٠ فالعمر غير مضمون ٠٠ أما الوعد بالجنة فهو وعد مضمون وأكيد ٠٠ يتمتع فيه الانسان ٠٠ ليس بقدرة ما تستطيع أن توفره الحياة البشرية بكل امكانياتها ٠٠ ولكن بقدرات وامكانيات الله سبحانه وتعالى ٠٠ التى هى بلا حدود ولا قيود ٠٠ ومن هنا فان رسول الله حين قال : لكم الجنة ٠٠ قارن شيئا غير مضمون ومحدود ٠٠ بشىء مضمون وفيه المتاع بلا حدود ولا قيود ٠٠ وهكذا كانت هذه الصفقة من ناحية قانون النفعية الأرضية ٠٠ أكبر مما تستطيع أن تحققه قوى الأرض كلها ٠٠

ويمضى الشـــيخ محمد متـــولى الشعراوى ليتحدث

مكملا شرح هـــذا الموضـــوع فيقول : حـــين يضمن لهم الجنة ‥ انك فى الحياة توطد نفسك على قدر امكانياتك ‥ فانظر صفقة الله مع الناس ‥ حين يضمن لهم الجنة ‥ لأن الحياة محدودة مهما طالت ‥ ويعدك الله بشىء غير محدود ‥ وباستخدام المقارنة الاقتصـــادية النفعية ‥ تكون قارنت محدودا بغير محدود ‥ فالذى يعطى غير المحدود هو الله ‥ وقارنت يقينا بشىء غير مضمون ‥ فوعد الله يقين ‥ وأجلك فى الحياة غير مضمون لك ‥ وقارنت تنعما على قدر امكانياتك أنت ‥ لتنعم على قدر امكانيات الله ‥ اذن فصفقة الجنة لمن يريد النفع ‥ هى الصفقة العاقلة الرابحة الذى يمتنع عن بيع بضاعة الآن ‥ يرجو أن يغلى الثمن ‥ ينتظر زيادة فى الربح ‥

اذن فهو يريد النفع لنفسه ‥ وكل انسان يريد النفع لنفسه ‥ ولكن هناك من يتعجل النفع المحدود المضمون على قدر امكانياته ‥ وهنـــاك قوم أوعى من ذلك وأعقـــل ‥ فيقولون أننى أبيع المحدود ‥ وآخذ غير المحدود ‥ أنا أبيع المضمون ‥ وآخذ المتيقن ‥ أنا أبيع على قدر امكانياتى ‥ وآخذ على قدر امكانيات الله ‥ فاذا نظرت اليها وجدتهـــا صفقة رابحة ‥ ولذلك فأننا يجب أن نعتبر الحياة بما فيها من مصاعب ومتاعب ‥ هى مقدمات هذه الصفقة ‥ وكما أن التلميذ يشقى ويتعب ليتعلم ‥ والصانع يشقى ويتعب ليأخذ صنعته ‥ فاجعل حياتك الدنيا جهادا لتأخذ هـــذه

الصفقة القادمة ·· ان الذين يتاجرون مع الله أعقل العقلاء ·· وأذكى الأذكياء ·· وأكثر الناس فهما لطبيعة هذه الحياة ·· لأنها صفقة الله طرفها·· وما دامت صفقة الله طرفها ·· فاطمئن على ذلك ·· لأن الذى عقدها قادر على أن يوفى بها ·· بأكثر وأضخم وأعظم مما يمكن أن تتصوره أنت ·· أو أن يقربه الى ذهنك وعقلك البشرى ·· الصفقة بين البشر يمكن أن يعقدها الانسان ·· ولكنه لا يستطيع لها وفاءا ·· وانما الله يعقدها ويملك فيها الوفاء ·· ولذلك حين يقول رسول الله لكم الجنة ·· يكون قد أوفاها ·· فالذى يعقل ويتدبر يسارع الى هذه الصفقة ·· وعندما بدأ القتال بين التتار والمسلمين ·· قال المسلمون ·· أليس بيننا وبين هؤلاء الكفار الا أن نقاتلهم ·· فاذا استشهدنا دخلنا الجنة ·· حتى أن بعضهم كان يمضغ بعض التمرات ·· فرماها من يده ·· وأسرع الى القتال ·· والشهادة ·· لأنه لا يريد أن يبطىء حتى يتناول التمرات ·· بل يريد أن يسرع الى الجنة ··

والذين يرفضون كثيرا من متاع الحياة ·· لا تظنوا أنهم حمقى لا يتمتعون بالذكاء والقدرة ·· بل انهم أكثر الناس ذكاءا وقدرة ·· فقد أخذوا الأشياء من باب أوسع ·· مما يأخذه أولئك الذين يجذبهم طريق الدنيا ·· بل انهم قـوم مكارين ·· وماذا نعني بكلمة مكارين ·· نعنى أنهم أخذوا المسألة من باب أكثر فائدة ونفعا ·· مثلا الذى يؤثر عـلى نفسه وبه قصاص ·· يظن الناس أنه أحمق ·· لانه لا يملك

الا جنيها واحدا مثلا ·· ويتصدق به ·· ولكن هذا الرجل أوعى منك ·· لأنه يعطى الجنيه الذى معه لمن هو أحوج منه ·· وفى نفس الوقت هو طمعان فى عشرة أمثاله من الله ·· أو سبعمائة مثله من الله ·· وهذا يدل على امتداد نظرة فى النفعية ·· وامتداد النظر فى النفعية هو الذى نطبقه لنعمر هذا الكون كله ·· فالرجل الذى يحرث أرضه ليزرعها قمحا ·· يأتى فيحرث الأرض ·· ثم يأتى الى القمح الذى عنده ·· فيأخذ جزءا منه ·· فى النظرة القصيرة فهو أنقص بما عنده من القمح ·· هذا فى ظاهر الأمر ·· ولكنه فى الحقيقة ·· وتطبيقا لنظرية الامتداد فى النفعية ·· فهو آخذ مما يملك أردبا من القمح ·· وبذرة فى الأرض ليعطيه عشرة أرادب من القمح ·· انه لا ينظر الى ناحية النقص الأولى ·· ولكنه ينظر الى ناحيةالنفع المتيقنالقادم ··وفى الانسان فى تعامله معالحياة ·· يأتى انسانا آخر ليسىء اليه ·· فيجد من قضية الدين من يقول له·· أحسن الى من أساء اليك·· وهذا مخالف للطبع البشرى ·· فالطبع البشرى يطالبنى بأن أسىء الى من أساء الى ·· وان أنتقم لنفسى ·· ولكن التشريع لم يغفل الطبع البشرى ·· ولذلك فهو لم يضع مثاليات بعيدة عن طبيعة البشر وحياتهم ·· فالقضيه الاولى ·· أنه يقول لك ·· اعتدى عليه بمثل ما اعتدى عليك ·· هذه قضية قد يرضى بها انسان يريد ان يرضى بها عواطفه ·· ونزعة البشر فى الانتقام لنفسه ·· وهناك قضيه أسمى يمكن أن تطبقها ·· لقد أتيح لك ان تعتدى بالمثل ولكن أتستطيع أن تتحكم بالمثل ·· هل تستطيع

أن يكون اعتداءك دقيقا طبقا لكل المقاييس ·· بمثل ما اعتدى عليك·· بحيث تصبح بنفس الوزن ··ونفس القوة التي وجهت بها الى·· مستحيل ··فلماذا أدخل في هذه المتاهة·· اذا كنت تريد أن تتسامى ·· فانك لا ترد الاساءة ·· وان كنت تريد أن تتسامى أكثر ·· فانك تحسن اليه ·· اذن ·· فهناك ثلاثة مراتب ·· مرتبة أن ترد العدوان بالمثل ·· ومرتبة ثانية هي أن تكتم غيظك في قلبك فلا تعلنه وتتسامى فلا ترد ·· ومرتبة ثالثة هي أن تحسن اليه ·· وتقابل الاساءة بالاحسان ·· هذه مراتب حسب طاقات الايمان في النفس البشرية ··

ولكن لماذا يطلب منك الدين أن تحسن الى من يسيء اليك ·· سأضرب مثلا بسيطا لاوضح الأمر ·· أنت اذا دخلت بيتك ·· مثلا ووجدت ولدا من أولادك أساء ولدا آخر ·· مع أيهما يكون قلبك ؟ ·· مع المعتدى عليه ·· وما نتيجة وجود قلبك معه ·· أنك تحاول ارضاؤه ·· أنك تكون معه ·· وتصنع له كذا ·· وتصنع له كذا ·· محاولا ازالة أثر الاساءة من نفسه ·· اذن ما الذى جعله يحوذ هذا العطف والرعاية منك ·· أكثر من أنه معتدى عليه ·· أننا نعامل أنفسنا بذلك القانون ·· كذلك الله الذى خلقنا جميعا ·· فاذا ما جاء انسان واعتدى على انسان ·· مع من يكون الله ؟ ·· مع من أسيء اليه ·· وماذا يستحق هذا الانسان الذى جعل الله بجانبه ·· انه يستحق مني المكافأة ·· أو الاحسان ··

اذن كقضية نفعية ·· يجب أن يتعقلها الناس ·· ولا ينظروا الى النفع العاجل ·· ويتركوا النفع القادم الشامل ·· كذلك قضيتنا نحن كبشر ·· فما دمنا قد ارتضينا لانفسنا الايمان ·· وحب الله ·· والتقرب اليه ·· وارضائه بقدر ما نستطيع ·· فلا بد أن نحمل أنفسنا على المنهج والتضحية التى يتطلبها منا ذلك ·· وأن نبيع هذه الدنيا ·· يبيعها العلماء ·· فلا يخشون أحدا الا الله ·· ويبيعها أيضا الجنود ·· فلا يطلبون ثمنا الا الجنة ·· حين يعطون المسألة هذا الوضع ·· يرتاحون من كل ما يصيبهم فى هذه الحياة ·· لماذا ؟ ·· لأن الغايات دائما هى التى تجعل الانسان يقبل الوسائل ·· فاذا أحب الانسان انسانا آخر ·· والطريق اليه شاق وصعب ·· فانه يتحمل المشاق والتعب ·· فى سبيل أن يصل الى هذه الغاية ·· فما دامت الدنيا هذا أملها المحدود ·· فلا يجب أن نعطيها فوق قدرها وطاقتها ·· ويجب أن لا تعطيها أهم من وضعها ·· حين يكون الأمر ·· منا كذلك ·· نعمل العمل ·· ولا نطلب ثمنا الا الجنة ·· ونعطى الله سبحانه وتعالى فى قرآنه قضية اسمية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· فى نساء النبى حينما استتب الأمر لهذا الدين ·· وكثرت الغنائم ·· أحببنا أن يعش عيشة يملأها زخرف الدنيا وبهجتها ·· فقال الله : يانساء النبى ·· ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميــــلا ·· وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ·· فان الله أعد للمؤمنات منكن أجرا عظيما ·· اذن فالقضية فى أمر الدين·· أعلاما بها ·· وصيانة

لها ٠٠ وحملا للناس عليها ٠٠ فالجزاء هو الجنة ٠٠ والذى يريد ثمنا غير هذا ٠٠ يكون قد أرخصها ٠٠ فالذين يتأسون برسول الله ٠٠ وبحياة رسول الله ٠٠ يجب ألا يغيب عنهم هذا القول ٠٠ لأنه اذا غاب عنهم سيتعبون فى الحياة الدنيا ٠٠ ومعينة فى كل ما يحدث ٠٠ وسعادته ٠٠ لا تنبع مما يحدث ٠٠ ولكن تنبع من داخله ٠٠ فالسعادة فى حقيقتها لا تنبع مما يحدث للناس ٠٠ لكن مما فى داخلهم ٠٠ ومما فى أنفسهم ٠٠ فقد يحدث حدثان متشابهان لشخصين ٠٠ فاذا أحدهما سعيدا راضيا بما حدث ٠٠ واذا الثانى شقيا تعيسا بما تم ٠٠ مع أن الحدثين واحد ٠٠ والشخصين ظروفهما متشابهة ٠٠

خطيئة آدم

الحديث الآن عن خطيئة آدم ·· وهو حديث أخذ جدلا طويلا فى تاريخ البشرية ·· ربما من يوم آدم حتى الآن ·· وهناك من يقول انه لولا خطيئة آدم ما كانت البشرية تعـانى ما تعانيه الآن من شقاء وتعب وآلام ·· ولكان كل الناس فى نعيم الجنة ·· يعيشون ويأكلون فى سعادة ويسر بلا تعب ··

ولكن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض ·· وليعمرها ·· اذن آدم لم يخلق أساسا ليعيش هو وذريته فى الجنة ·· ولكنه خلق لينزل الى الأرض ويعيش فيها ·· ثم تأتى الآخرة ·· ويكون هناك ثواب وعقاب ·· فيدخل المؤمنون الجنة ·· ويعذب الكافرون فى النار ·· هذا هو قدر الله الذى أراده لبنى آدم ··

ولو أن آدم استمر فى الجنة ·· فكيف كان يمكن أن يكون هناك حساب وثواب وعقـــاب ·· وخطيئة وتوبة ·· وايمان وكفر ·· الى آخر ما فى الحياة الدنيا ··

فالحديث عن خطيئة آدم ٠٠ واننا نتحمل هذه الخطيئة يتعارض مع نص القرآن الكريم٠٠ الذى يؤكد أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ٠٠ أى أن أحدا لا يتحمل ذنوب الآخر ٠٠ وانما يحاسب كل شخص على ما ارتكبه من ذنوب وآثام ٠٠ كل انسان يحاسب على عمله من سيئات وحسنات وطاعات ٠٠ كما أنه يتعارض مع وظيفة آدم الرئيسية التى خلق الله من أجلها ٠٠ وهى أن يكون خليفة فى الأرض ويعمرها ٠٠ والسؤال الذى يدور هو اذا كان الشيطان قد أغوى آدم وجعله يأكل من الشجرة المحرمة فطرد من الجنة ٠٠ فما ذنبى أنا لأطرد معه ٠٠ وأعيش فى شقاء الدنيا ويكتب على كل هذا ٠٠

كان هذا هو موضوع الحوار مع الشيخ محمد متولى الشعراوى ٠٠ حول خطيئة آدم وما تحمله أبناؤه نتيجة تصرفه ٠٠ وكيف نتحمل نحن خطيئة لم نرتكبها ونحاسب على شىء ليس لنا يد فيه ٠٠

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى : اذا كان الله قد خلق الخلق ٠٠ وبدأهم بآدم ٠٠ فكان لابد أن يعلمهم ما يريده منهم ٠٠ هذا الأعلام هو أول ابلاغ عن دين الله للانسان ٠٠ هو أول وحى علمهم ما يجب أن يكونوا عليه فى حركة حياتهم ٠٠

ومن العجيب أن أمر آدم بالنسبة للوحى أخذ خلافا

طويلا ·· وهو كيف يكون موحى اليه وتصدر منه المعصية·· ولم يفطن هؤلاء الى أن آدم عليه السلام خلق بمثل نوعين من البشر ·· نوع نبوة معصومة ·· ونوع غير نبى يقع فى الخطأ والخطيئة ·· بل ويكفر بخالقه ·· وما دام آدم أب لهذين النوعين ·· فيجب أن يتمثل فى خلقه وتكوينه النوعان معا ·· النوع الخطأ الذى يعهد اليـــه فينمى ويعصى ويوقعـــه الشيطان فى الخطأ بالغرور ·· ولا يملك أن يسيطر على نفسه أمام نزواته وشهواته ·· ونوع آخر هو الذى اجتبـــاه الله ليقوم بدور النبوة ·· فهو معصوم من الخطأ ··

وعندما خلق الله آدم للخلافة في الأرض ·· لم يشأ يخرجه الى حركة الحياة دون أن يدربه تدريبا بشريا عمليا ·· يباشر فيه الواقع ·· ولا يرسله الى الأرض بكلام نظرى ·· بل يجب أن يتعرف الواقع ·· لأن الانسان قد يأخذ كلاما نظريا يقتنع به·· ولكنه حين يطبقه عمليا يتعذر عليه أن يجعل التطبيق متمشيا مع المنهج النظرى ·· وشاء الله رحمة بآدم ألا ينزله الى الأرض بمنهج نظرى افعل ولا تفعل ·· الا بعد أن يربيه تربية تدريبية دينية على المنهج بأفعل ولا تفعل ·· ويحذره العقبات التى تصادف المؤمن وهو اغـــواء الشيطان واغرائه ·· حتى اذا تمت التجربة ورآها آدم وعاشها كواقع أخرجه الى الأرض ليباشر مهمته التى خلق من أجلها ··

واذا كنا نحن نريد أن ندرب الانسان على شىء سيقوم به ·· كأن ندرب انسانا ليصبح لاعبا ماهرا فى كرة القدم

.. لا نشرح له نظرية اللعب أولا .. ثم نلقى به الى مبـــاراة عالمية .. لا .. اننا نأخذه ونعد له مكانا مريحا مناسبا .. ونكفيه مؤونة الحياة .. وندربه على اللعب بأمانة .. حتى اذا ما أخطأ لا نحـــاسبه .. ولكن نقومه .. فالخطـــأ فى دور التجربة خطأ مردود بالتوجيه فقط .. وليس بالعقاب .. ولكن فى غير دور التجربة خطأ معاقب عليه .. والفرق بين الأمرين .. أن خطأ التجربة يتم فيه تعطيل الصواب .. ولكن خطأ الواقع يعاقب عليه .. فلم يكن الله ليخبر آدم بمنهـــج نظرى .. ثم بعد ذلك يعاقبه على ما يقوم به .. لم يكن ذلك .. وانما كان أن دربه أولا فى مكان سماه جنة .. وبعض الناس يظن أنها جنة السماء .. ويظلمون آدم .. ويقولون أننا خلقنا للجنة .. ولكن معصية آدم هى التى أخرجتنا منها .. لا .. افهموا جيدا ان الله فى أول بلاغ عن آدم قال : « أنى جاعلك فى الأرض خليفة » .. فكأن آدم مخلوق للأرض .. فلا تظلموه وتقولوا أننا خلقنا للجنة فأخرجتنا معصية آدم الى الأرض ..

اذن فالجنة التى عاش فيها آدم ليست جنة الآخرة التى وعدنا الله بها ولكنها جنة وجدت فيها كل مقومات الحيـــاة .. يأكل منها ما يشتهى ويريد بدون عمل منه .. وبعد ذلك جاء أمرا لتكليف بأفعل ولا تفعل .. فكل الرسالات مضمونها افعل كذا .. ولا تفعل كذا ..

ماذا قال الله لآدم .. كل من كل شىء .. ولا تقرب

هذه الشجرة ·· هذا أمرا بأفعل ولا تفعل ·· وبعد ذلك حذره من أغواء الشيطان ·· قال له الشيطان هو العقبة ·· وعداوته لك مسبقة ·· لانه امتنع أن يسجد تكريما لك·· وما دام عدوك ·· فسيعمل على أن يجعلك تقع فى الخطيئة حتى لا يتميز هو بأنه هو المخطىء الوحيد ··

فلما أخطأ آدم فى دور التجربة ·· نسى هكذا ·· قال القرآن مرة « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى » ·· وبعد ذلك دلاه الشيطان بغرور ·· قال ما منعكما أن تقربا هذه الشجرة ·· الا أن تكونا ملكين ·· كان يجب على آدم ألا يكون غافلا الى هذا الحد ·· يجب ألا ينسى ·· فعندما يقول له الشيطان ان الله منعكما من أن تأكلا من هذه الشجرة ·· حتى لا تصيرا ملكين ·· وتعتبرا من الخالدين ·· كان يجب لآدم أن يقول له اذا كنت أيها الشيطان تعلم أن الأكل من هذه الشجرة يجعلك ملكا ويجعلك خالدا ·· فلماذا تضاءلت أمام ربك ·· وقلت له : أنظرنى الى يوم يبعثون ·· لماذا لم تذهب أنت لتأكل من الشجرة وحدك لتصير من الخالدين ·· ان الله يريد أن يعلمنا الفطنة ·· لأن الشيطان حين يضفى بغروره الى أى انسان يجب أن يناقشه مناقشة العاقل الفاهم لأن الشيطان ليس له حجة ولا سلطان ··

وبعد ذلك أكلا من الشجرة ·· فحين أكلا من الشجرة عصا آدم ربه ·· نقول له·· ان آدم عصا فى دور التدريبوهو

في هذه المعصية لا يعاقب ٠٠ وأنما يعلم الصواب ويوجه اليه ٠٠ كذلك علمه الله ٠٠ اذا لم تقدر على نفسك وغلبك غرورك ٠٠ فقل هذه الكلمات وارجع الى ٠٠ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ٠٠

هنا وقفة نقول : اذا كان آدم قد عصا ٠٠ فتلقى كلمات التوبة من الله ٠٠ وابليس قد عصا ٠٠ ولم يغفر له الله ٠٠ فما الفرق بين معصيته ٠٠ ومعصيته ٠٠ وهل كانت هناك محاباة ٠٠ نقول له لا ٠٠ لأن هنـــاك فرق بين معصية آدم ومعصيه الشيطان ٠٠ آدم لم يتهم الأمر فى أمره ٠٠ بل قال ربنا ظلمنا أنفسنا ٠٠ أمرك حق ٠٠ ولكنى لم أقدر عـــلى نفسى فظلمتها ٠٠ ولكن ابليس رد الأمر على الله ٠٠ وقال أأسجد لمن خلقت طينا ٠٠ خلقتنىمن نار ٠٠ وخلقته من طين ٠٠ اذن فقد تأبى على الله ٠٠ وفرق بين من يتهم نفسه من ان أمر الله حق ٠٠ ولكنه لم يقدر على نفسه فظلمها ٠٠ فهذا هو الفارق ٠٠ لذلك اذا أنكرت حكما من أحكام الاسلام ٠٠ نقول: أأنت تنكر ٠٠ فاذا قال نعم ٠٠ نقول والعياذ بالله ٠٠ كفرت ٠٠ واذا قلت أبدا ٠٠ سبحان الله ٠٠ ان الله حق ٠٠ تعاليمه حق ٠٠ ولكننى لم أقدر على نفس فظلمتها ٠٠ فأنت مسلم عاصى ٠٠ تجبرك التوبة ٠٠

يلاحظ هنا أن الحق سبحانه وتعالى حينما خاطب آدم ٠٠ فى الامتناع عن الأكل من الشجرة ٠٠ لم يقل له لا تأكل من الشجرة ٠٠ وانما قال ٠٠ لا تقربا ٠٠ ما الفرق بين أن

يقول لا تأكلا ولا تقربا ٠٠ فكأن محارم الله يجب أن يبتعد الانسان عن كل طريق يؤدى اليها أو يقرب منها ٠٠ لأن قربك منها قد يغريك بها ٠٠

اذن آدم درب على المنهج ٠٠ وعلمه الله كيف فعل به الشيطان ما فعل ٠٠ وعلمه كيف يتوب الى الله ٠٠ ثم أرسله الى الأرض ٠٠ وقال له : باشر مهمتك على ضوء هذه التجربة ٠٠ ولذلك قال الله تعالى « وعصـا آدم ربه فغوى ٠٠ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » ٠٠ كأن آدم يمثل المرحلتين ٠٠ مرحلة الانسان غير المعصوم ٠٠ فيقع فى الخطأ ٠٠ فيعطيه الله ألفاظ التوبة ٠٠ فيخشع ويرجع الى الله ٠٠ ومرحلة النبوة ٠٠ بعد ذلك فى أن ينقل الدين لأبنائه ٠٠

وبعد ذلك قام آدم بابلاغ تعاليم الله الى أبنـائه الذين أبلغوها الى أبنائهم ٠٠ ولكن شهوات النفس وغفلتها اسنطاعت جيلا بعد جيل أن تنحرف بسلوك الانسان عن تعاليم الله ٠٠ وهنا أرسل الله الرسل ٠٠ وكان لابد أن يحمل كل رسول الى قومه معجزة ليثبت لهم صدق رسالته ٠٠

الاسلام والسيف

ان قضية الاسلام والسيف ·· قضية أخذت نقاشا طويلا خلال التاريخ الاسلامى ·· ومنذ بدأ الاسلام ينمو ويزدهر ·· هناك من يتهم المسلمين بأن الاسلام قد انتشر بالسيف ·· ورغم أن أديانا أخرى قد اجتازت حروبا لتثبت أقدامها ·· أو لتنصر مبادئها ·· رغم ذلك كله فلا يجد المستشرقون قضية الا أن الاسلام قد انتشر بالسيف ·

وأمامنا فى الدنيا امبراطوريات انتشرت بالسيف ·· امبراطوريات لم تكن الشمس تغيب عنها ·· ثم ماذا حدث بعد ذلك ·· غاب عنها السيف ·· فغابت الامبراطوريات ·· وزالت من الوجود ·· ولم يعد لها كيان بل ان كل ما انتشر بالسيف يزول اذا زال السيف ·· وأنا أريد من هؤلاء المستشرقين الذين ملأوا الدنيا أكاذيب عن الاسلام ·· أن يذكروا لى مثلا واحدا لشىء انتشر بالسيف ·· ثم بقى بعد أن زال السيف مثل واحد عبر التاريخ ·· لا يوجد ·· ولكنهم لا يجدون سوى الاسلام ·· يحاولون أن يطلقوا عليه

مثل هذه الأكاذيب ·· اذا كان كل شيء في العـــالم قد قام بالسيف عندما زال السيف زال ·· فلماذا يبقى الاســلام شاذا عن هذه القاعدة ·· ينتشر بالسيف ثم يزول السيف·· فلا يزول الاسلام ·· بل يظل ينتشر ويزداد انتشـــارا كل يوم ··

قلت للشيخ محمد متولى الشعــراوى ·· اننى أريد أن أسمع رأيك فى هذا الموضوع ·· وبدأ الشيخ محمــد متولى الشعراوى يتكلم :

هناك صنفان من الناس ·· صنف يعلم ويكفيه أن يعلم ·· ليحمل نفسه على منهج ما علم ·· وصنف يعلم ولكنه غير قادر على أن يحمل نفسه على منهج ما علم ·· الصنف الأول تكفيه الحجة ·· ويقنعه البرهان ·· والصنف الثانى لا يقنعه أى شيء ·· بل يخترع الحجة ·· ليقنع نفسه بعدم السير ·· أو الاعلان ·· أو التسليم ·· بما علم ·· وهذا الصنف الثانى هو الذى يدعى أن الاسلام قد انتشر بالسيف ·· ووجـــود الحرب لابد أن يكون معها السيف ·· ولكن هل السيف هــو الذى أوجد الحرب ·· أم الحرب هى التى أوجدت السيف ·· حين تجد سيفا أقنعك بحرب ·· فاعلم أنها قضية باطل ·· ولكن حين يوجب الحرب السيف ·· فاعلم أنها قضية حق ·· لذلك الاصل فى السيف ·· أن يكون حارسا لكلمة الحق ·· لا أن يكون معينا على كلمة الباطل ·· ولذلك أخذت هــذه القضية عند المستشرقين دورا عميقا أرادوا به أن يشوهوا وجه

الاسلام فى سياحته في الدنيا .. فقالوا ان الاسلام فرض بالسيف .. ونقول بأبسط عبـــارة .. ومن الذى حمـل السيف ليرغم الناس على منهج الاسلام .. هل بدأ الاســـلام سيفا أم بدأ حرفا وكلاما مقنعا .. ان الذين حملوا السيف ليجتاحوا به فى الأرض .. لم يفرض الاسلام عليهم بالسيف .. وانما دخلوه عن قناعـــة .. وقوة .. برهان وانصياع لحجة .. ومن هنا أخذ الاســـلام دوره السلمى الأول فى أن المقتنعين به أضطهدوا فى ذواتهم .. واضطهدوا فى أموالهم .. واضطهدوا فى أهلهم .. واضطهدوا فى أوطانهم .. اذن فكانوا قلة .. وكانوا أذلة .. ولم يكن لهم من جاه الحيـــاة شيء .. فما الذى حملهم على أن يحملوا السيف ليجتاحوا به فى الأرض .. انما حملهم على ذلك الاقتنـــاع أولا .. لأنهم كانوا قلة .. وكانوا أذلة .. وكانوا لا يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم .. فالذى حمل السيف لم يفرض عليه أن يحمل السيف الا بعد قناعة .. وتلك هي فلسفة النشأة الأولى فى مكة .. حتى يعلم الناس .. أن الناس قد اقتنعوا فحملوا السيف .. لم يحملوه ليجبروا أحدا على الايمان والاسلام .. ولكن حملوه فقط ليمنعوا المعوقات التى تعوق الكلمـــه التى تصل الى الأذن .. اذن حملوه ليقفوا أمام كتل الطغيان التى تحارب حجة الحق .. وكان هدفهم من ذلك هـــو حرية الرأى أولا وأخـيرا .. وعدم فرض رأى معين بالسيف .. ذلك أن الكفار كانوا يحملون السيف ليفرضوا على الناس ســـماع كلمة الباطل .. ويمنعوهم من سماع كلمة الحق .. وحمـل

الاسلام السيف عن قناعة لا ليفرض كلمة الحق · ·ولكن لكي تصل كلمة الحق الى أذن الناس ·· وتكون الفرصة متساوية. فيسمع الناس حجة هؤلاء ·· وهؤلاء ·· وبعد ذلك يختارون ما يختارون ·· بارادة حرة ·· لا يفرض فيها السيف رأيا·· ولا يفرض دينا ·

وأن المبادىء التى تفرض على الناس بالقوة ·· أول شيء يعرف فيها أن صاحبهـــا التى فرضها بالقوة ·· غير مقتنع بها ·· ولو كان مقتنعا بها ·· لقال ما الذى يمنع الناس حين أعرض عليهم منهج الحق ·· ومنهج الخير ·· ومنهج الكمال·· أن يقتنعوا به ·· ولكنه فى نفسه غير مقتنع ·· وهو يقول فى نفسه ان لم أحمل الناس على ذلك المبدأ بالقوة ·· لمـــا اقتنع به أحد ·· ولو كان مقتنعا به فى ذات نفسه لرأى ذلك أيضا فى غيره ·

والاسلام لا يريد قوالب تخضع ·· ولكنه يريد قلوبا تخشع ·· والقوة التى تفرض ·· انمـــا تتحكم فى القالب فقط ·· ولكنها لا تتحكم فى القلب أبدا ·· فمن الممكن أن تكره انسانا على عمل يعمله ·· وأن تجبره على أن يقوم بهذا العمل بقالبه وبحركة عضلاته ·· ولكن ليس من الممكن أبدا أن تقنع قلبه بأن يعتقد شيئا ·· لأن العقيـــدة هى الشيء الذى لا يمكن الاكراه عليه ·· انك تستطيع أن تكره الانسان على أن يقوم بأى شيء ·· ولكنك لا تستطيع ·· ولا تستطيع قوى الدنيا كلها أن تكره انســـانا أن يضـــع فى قلبه غير

ما يحب •• وأن يصدق قلبه بغير ما يريد •• فالقلب خارج عن حدود السيطرة البشرية •• بحيث لا يستطيع انسان ان يكره انسانا آخر على أن يحبه •• أو على أن يصدق فى شيء •• أو على أن يعتنق مبدأ ما •

اذن فالاكراه ليس من مبدأ الاسلام •• والله سبحانه وتعالى قال : « لا اكراه فى الدين » •• ولا يعقل أن يحمل المسلمون السيف ليقوموا بشيء قد نهى الله عنه •• وهو الاكراه •• أن يحملوا السيف ليكرهوا الناس على الدين •• والله سبحانه وتعالى يقول « لا اكراه فى الدين » •• ولكن السيف هنا وجد ليعطى فرصة التكافؤ فى الاختيار •• أى أنه وجد ليدافع عن الارادة الحرة للانسان •• أى أن السيف هنا •• وجد ليمنع الاكراه •• ويعطى الناس الفرصة للاختيار بدون اكراه أو ضغط أو ارهاب ••

اذن فالاكراه ليس بمنطق الاسلام •• واذا رأينا اسلاما التجأ للسيف •• فانما فقط ليعطى فرصة التكافؤ فى الاختيار •• هناك قوى كانت تحكم العالم وتفرض عليه أشياء وخرافات تقتنع بها •• فجاء الاسلام ليكبت هذه القوى •• وليقول كلمته أمام الناس •• ثم يطرح القضية على الناس•• قضية الحق •• قضية الدين الحنيف •• فمن آمن بها آمن بقلبه •• ومن لم يؤمن ظل على دينه •• ولذلك نجد فى سياحة الاسلام فى هذه البلاد •• ووجدت أمم من اليهود ••

وأمم من المجوسيين ·· وأمم من النصـــارى لم تتعرض لهم الاسلام ·· وظلوا فى حماية منهج آخر ·· لهم ما لنا وعليهم ما علينا ·· ولو أن الاسلام فرض بالسيف كما يقولون ·· لما وجد الا مسلم فى أى أرض يدخلها الاسلام ·· فوجود غير المسلمين فى أراضى الاسلام ·· لم يجىء ليحمل الناس عـلى مبدأ من المبادىء التى لا يستطيبها سلوكهم ·· ولا يقبلهـــا قلبهم ·· انمـــا أراد فقط أن يزيح المعوقات فى اختيـــار البدائل ··

وشرف الاسلام وقوته أنه أول من حارب من أجل حرية الرأى وحرية العقيدة ·· كانت هناك حروب من أجل فرض الرأى ·· وحروب أخرى من أجل فرض عقيدة ما ·· وهذه الحروب وتلك نعرفها جيدا ·· فى التاريخ ·· ونعرف أولئك الذين قاموا بها ·· ولكن ما من حرب قامت من أجـــل حرية الرأى وحرية الفكر·· وحرية الاختيار·· الا الحروبالاسلامية ·· ولذلك فان من حديث اليوم عن حرية الفكر وحرية العقيدة ·· مظهر من أكبر مظاهر التقدم فى الأمم ·· نقول ان الاسلام سبق العالم فى هذا التقدم ·· وانه أول من حارب وقاتل دفاعا عن حرية الكلمة ·· وحرية العقيـــدة ·· وهكذا أثبت الاسلام أنه لم يحقق أى انتصــــار للسيف ·· ولكنه حقق الانتصار بالرأى والاقناع ·· وانما حمل الاسلام السيف لأن أولئك الذين ضده منعوا حرية الرأى والعقيدة ·· ومنعوا غير المسلمين من الاستماع الى مبادىء الاسلام الحقيقية ··

الى هنا وينتهى كلام فضـــيلة الشيخ محمـــد متولى الشعراوى ·· الا أن لى كلمة أريد أن أضيفها ·· ان موضوع الاسلام والسيف محتاج الى ندوات ومحاضرات ·· ذلك أنه موضوع كثر الاتهام بالباطل فيـــه ·· وجاء الوقت ليظهر الحق ··

نحفظه نعم ·· نعمل به لا !

كثير من الناس يعتقدون أن حفظ القرآن أو وضعه فى مكان ظاهر وبشكل جميل يتنافى مع قواعد الدين ·· ذلك أن القرآن قد أرسل ليعمل به المسلمون لا ليزينوا به منازلهم ومكاتبهم ·· وسياراتهم ·· بينما تطبيق المنهج ·· أو تطبيق تعاليم القرآن يمضى فى خط نزولى ·

والذى لا شك فيه أن هنـــاك فرقا بين تطبيق القرآن والعمل به ·· وبين الحفاظ على القرآن فى شكل جميل ·· والتفنن فى اخراجه بصورة تستهوى القلوب والنفوس ·· على أن القرآن كمنهج ·· هو المطلوب منا أن نحافظ عليه ·· بأن نتبعه · وقد استمعت الى عدة أحاديث للشيخ محـــمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ·· عن كيف أن تطبيق المنهج والحفاظ على القرآن يسيران فى خط عكسى ·· فبينما يقل تطبيق المنهج يزداد الحفاظ على القرآن ·· لأن الحفاظ على كتاب الله قد تعهد به الله ·· ولم يتركه للبشر ·

على أن القرآن كمنهج ·· كان موضوع حديثى مـــع

قال الشيخ الشعراوى : اننا نحفظ القرآن .. ولا نحافظ على القرآن .. وفرق بين أننا نحفظ .. واننا نحافظ .. وانك لو استقرأت واقع المسلمين فى الأرض .. لوجدت أمرا عجيبا .. لا يحكمه منطق واحد . وجدت أن المسلمين بدأوا يتخلون عن مبادىء دينهم شيئا فشيئا .. فالحفاظ على المنهج فى نزول .. ولكن توثيق القرآن وحفظه فى صعود .. كل يوم ياتى لون جديد من ألوان حفظ القرآن .. المطابع تطبع احجام مختلفة .. التسجيلات على أشرطة وعلى اسطوانات .. فاذا نظـــرنا الى القرآن .. نرى كلمة منهـــج .. ما هى ؟ .. المنهج معنـــاه الطريق الموصـــل الى غاية .. هذا بالامور الحسية .. أما فى الأمور المعنوية فهو القضايا التى تحكم السلوك البشرى حكما صادرا من أعلى لأسفل ..

وحينما أقول أنا مسلم .. فكلمة مسلم تأتى من أسلم .. ومعنى أسلم مأخوذ أيضا من معنى أسلمت زمامى الى فلان .. اى صرت فى حركتى تابعا له .. اذا قال لى افعل .. أفعل .. واذا قال لى لا تفعل .. لا أفعـــل .. وهـــل أنا ـ باستخدام المنطق والعقل وكل الموازين ـ هل يجوز أن أسلم قيادى لمن هو اقل منى مستوى .. آى لمن لا يصل الى مستواى الفكرى والعقلى .. الجواب طبعا لا .. لأن ذلك يأباه المنطق السليم .. وهل أسلم زمامى لمن هو مساو معى فى الفكر والتفكير والعقل .. الجواب : أيضا لا .. ذلك أننى ما دمت

متساويا معه فلا يصح أن أسلم زمامى ٠٠ أو قيادى اليه ٠٠ لا نالتساوى هنا يجعلنى أنا أتفوق فى ناحية وهو يتفوق فى ناحية أخرى ٠٠ ولا أحد منا يستفيد أو يرتقى من تسليم زمامه للآخر ٠٠ بل على العكس ، كلانا سيصاب بأضرار ٠٠ لأن ادراكنا ومستوانا قاصر ٠٠ ولأننا متساوون فى العقل والفكر ٠٠ ولأننا نحن الاثنين بشر ٠٠ ومعنى بشر أن لنا أهواء تحكم تصرفاتنا ٠٠ مهما حاولنا أن نجعلها موضوعية ٠٠ وبعيدة عن الهوى ٠

ولكن المنطق والعقل يؤكدان اننى اذا أسلمت فاننى يجب أن أسلم زمامى لمن هو أعلى منى علما وقدرة وحكمة ٠٠ أى أن الانسان العاقل لا يمكن أن يسلم زمامه ٠٠ الا لمن ثبت بالتجربة انه أعلم منه وأحكم منه ٠٠ وأقدر منه ٠٠ وليس له هوى ، وهذا هو الأهم ، ذلك أن من أسلم اليه زمامى قد يكون أعلم وأحكم وأقدر ٠٠ ولكن لعل له هوى ٠٠

اذن المسلم يسلم زمامه لمن آمن به ٠٠ ذلك الذى يملك العلم المطلق ٠٠ والحكمة المطلقة ٠٠ والقدرة المطلقة ٠٠ ولا هوى له فيما يقنن ٠٠ أو فيما يصدره من قوانين وتشريعات ٠٠ فى افعل ولا تفعل ٠٠ ومن هنا فان الاسلام معناه أن نتبع فى أمورنا القوانين والتشريعات الصادرة عن الله ٠٠ ما دمنا قد آمنا انه هو الحكمة المطلقة والقدرة المطلقة ٠٠ وانه لا هوى له فيما يشرع لعباده ٠٠

نأتى بعد ذلك الى منهج الاسلام ·· الذى وضعه الله ·· قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام على خمس ·· شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ·· واقام الصلاة ·· وايتاء الذكاء ·· وصوم رمضان ·· وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا · اذا ناقشنا المبدأ الأول وهو : أن لا اله الا الله ·· أقول أنها القلب المسلم ·· ذلك أننى حين أقولها أسلم لله سبحانه وتعالى أمرى وأعلنه وأشهده أنه لا يرتفع الى الحكمة المطلقة الا هو ·· واننى لا أعبده الا هو وحده واننى أؤمن برسالة نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ·

فاذا انتقلنا بعد ذلك الى باقى الأحكام نجـــد أن الله سبحانه وتعالى قد فرض الصلاة ·· حدد فيها الزمان وترك حرية المكان ·· وفى الذكاة حدد الحركة ، وبعد ذلك حـــدد الزمن وهو فى وقت الحصاد ·· وترك الزمن مطلقا بالنسبة لزكاة المال ·· أما فى الحج فقد حدد لك الله الحركة ، وحدد لك الزمان ·· وحدد لك المكان ·· اذن فالحج يشمل ثلاثة أشياء : تحديد الحركة ، وتحديد زمان ، وتحديد مكان · اذن لم يترك الله لى فى الحج شيئا أبدا لاختيارى سواء كان ذلك بالنسبة للزمان أو المكان ، أو الحركة ·· لذلك على قدر هذا التقييد فى الحركة وفى الزمان وفى المكان ·· كان جزاء الحج المبرور ·· أن يخرج الانسان من ذنوبه كيوم ولدته أمه ·· لأنه تحددت الحركة ولم يترك لى الحرية لا فى الزمان ولا فى المكان

.. وفى العبادات تحدد الحركة ويترك لى الزمان .. وفى الاعتكاف تحدد لى الحركة والمكان .. ويترك لى حرية الزمان

فاذا استكمل الانسان هذه الخمسة .. فلينتبه الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. حين قال بنى الاسلام على خمس .. لم يقل الاسلام خمس .. وانما بنى الاسلام على خمس فكأن هذه الخمس هى الأساس والدعائم .. ولكن هل الأساس والدعائم هى المبنى ؟ .. أبدا .. انهـــا هى التى تحمل المبنى نفسه .. تعطيه قوة التحمل .. والقدرة عـــلى البقاء . ولكنها ليست المبنى نفسه .. وهناك الحجرات . المبنى يستكمل بأشياء كثيرة جدا كلنا نعرفها .. اذا فبنى الاسلام على خمس .. هذه هى الشعائر .. الأسس .. أما كلمة الاسلام فهى كل حركة نابعة وجالبة الخير للانسان .. لا يطلب منا شيئا .. نقول له .. لا .. ان اسلامك مبنى يظن انسان ان الاسلام يطلب منه أن يؤديها .. ثم بعد ذلك فالمنهاج من هذه الناحية ليس مجرد الشعائر فقط التى قد على هذه الأسس الخمسة .. وما دام اسلامك مبنيا على هذه الخمسة .. اذن فهو يمثل شيئا أكثر عطاء .. أكثر من هذه هذه الخمسة لتستكمل انبنيان وتكمله .. وهذا الملء هو الذى يمثل حركة الحياة التى تحملها أسس الاسلام الخمسه .

اذن فمنهج الاسلام يتطلب ويتضمن كل حركة نافعة فى الكون والحركات النافعة فى الكون هى تعامل الانسان مع

أجناس الكون كله ٠٠ فالذى يتعامل مع الأرض ومع المعادن معاملته مع الجماد ٠٠ والذى يتعامل مع الخصوبة والزرع يتعامل مع النبات ٠٠ والذى عمله مع الحيوان كمربى الماشية مثلا وأصحاب المراعى ٠٠ هؤلاء وغيرهم يتعاملون مع الحيوان٠ والذى عمله فى انسانيات الانسان يتعامل مع الانسان ٠٠ اذن فكل حركة فى الوجود تتصل بالجماد أو بالنبات أو بالحيوان أو بالانسان هى حركة من منهج الاسلام ٠٠ والاسلام ينظم هذا كله فى تعاليمه من الرأفة بالحيوان ٠٠ وحسن التعامل مع الأرض بعدم اتلاف زرعها وخيراتها ٠٠ وتعامل الانسان مع أخيه الانسان ٠٠ هذه كلها يحددها منهج الاسلام ٠٠ ويحددها بتعاليم ٠٠ ملؤها الرحمة والنور والمغفرة ٠٠

علوم الدين ·· وعلوم الدنيا

ان الحديث عن علم الدين ·· أو تعاليم الدين قضية هامة ·· ذلك أنه مع ارتقاء العلوم البشرية ·· فأن تدريس علوم الدين يبقى كما هو ·· حتى آنه يقال ان التدريس فى علوم الدين قد تجمد ·· أو قل ·· أو ضعف ··

وكان هذا هو موضوع لقائى مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عن علوم الدين وعلوم الدنيا ·· قال الشيخ محمد متولى الشعراوى :

لآن مهمة العلماء الذين يحملون منهج الله ·· مهمتهم أن يرسخوا العقيدة فى نفوس المجاهدين فى سبيل الله ·· ليستهينوا بكل غال ·· وبأية تضحية فى سبيل نشر نوز الله ·· واعلاء كلمة الله ·· فهم اذن مهمتهم ·· مهمه الأعلام لقضية الحق ·· ولكن علم الدين يختلف عن بقية العلوم فى سائر الأرض ·· واختلافه ناشىء من طبيعته ·· لماذا ؟ ·· لأنك حين تعلم الناس منهج تاريخ مثلا ·· تعطيهم قضية لفظ

الأحداث بأزمانها ·· ولا تطلب منه أن يعتبر بهذه الأحداث ·· فالأحداث الضارة التى مرت بها شعوب يجب أن نتجنبها ·· والأحداث النافعة يجب أن نأتيها ·· والذى يتعلم الكيمياء أو الهندسة ·· يكفيه أن يعلم قضية العلم ·· ولكنه لا يحور فى شيء من سلوكه حسب قضية النظرية الهندسية ·· أى أنك وأنت تعلم الانسان العلم أو الطبيعة أو التاريخ أو أى شيء آخر دنيوى ·· تعلمه له دون أن تطلب منه أن يغير سلوكه ·· أو أن يترك أفعالا معينة شخصية تتنافى مع هذا العلم ·· أو تطلب منه أفعالا معينة يريدها فى هذا العلم ·· فسلوكه فى الحياة حر ·· لا تحكمه قضية كيمائية الا بمقدار ما يريد منها خيرا ·· ولكن علم الدين شيء آخر ·· لا يكفى أن تعلمه ·· بل أن تعلمه لتحمل نفسك على السلوك على وفق ما تقتضيه ·· اذن فعلم الدين يتطلب شيئا اسمه التربية ·· علم وتربية ·· فما هو الفرق بين العلم والتربية ·· العلم ادخال المعلوم من العالم فى ذهن غير العلم ·· ولكن التربية هى أن تحمل الشخص الذى تريد تربيته على أن يتبع سلوكه على وفق ما علم ·· اذن فقضية علم الدين تأخذ خطواتها من هذه الناحية ·· لا يكفى أن تعلم قضية العلم ·· لأن علم الدين يتطلب انطباع السلوك بما علم الانسان ·· ولكن الكيمياء لا تطبع سلوكك على شيء فى حياتك ·· أنت تصنع بالكيمياء ما أردت العملية الكيميائية ·· لا تقول لك الكيمياء افعل كذا فى حياتك ·· ولا تفعل كذا ·· وانما يقول لك علم الدين ·· افعل ولا تفعل ·· اذن فقضية علم

الدين تتلخص فى افعل ٠٠ ولا تفعل ٠٠ ومع افعل ولا تفعل ٠ ٠أن الدين منظم لحركتك ٠٠ فليست المسألة مسألة انطلاق فى الحركة ٠٠ ولكن هناك أمور أنت لا تحب أن تفعلها ومطلوب منك أن تفعلها ٠٠ وأمور تحب أن تفعلها ٠٠ ويطلب منك ألا تفعلها ٠٠ ومعنى ذلك هو التحكم فى حركة حياتك ٠٠ لا فى حركة حياتك كلها ٠٠ بل فى جزء بسيط منها ٠٠ لأننا لو وجدنا المطلوب بافعل ٠٠ والمطلوب بألا تفعل ٠٠ بالنسبة للحياة لوجدناها تأخذ جزءا يسيرا ٠٠ والأجزاء الباقية فى منطقة اختيارك ٠٠ يمكنك أن تفعل ٠٠ أو لا تفعل ٠٠ اذن فيجب أن نفرق بين علم وتربية ٠٠ فالعلوم غير الدينية يكفى أن يعلمها المتعلم ٠٠ ولكن علم الاسلام يكفى فيها أن يعلمها المتعلم ٠٠ بل لابد أن يتبع سلوكه على وجه ما علم ٠٠ فى أن يعلم الانسان قضية علمية ٠٠ ثم يراقب سلوكه ٠٠ ليرى اذا كان سلوكه على مقتضى القضية العلمية الدينية ٠٠ الذين يريدون التحلى بالأخلاق التى تؤهلهم لهذا الدين ٠٠ يجب أن يوطدوا أنفسهم على الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ وعلى الأسوة بهذه القيم ٠٠ والا بحثوا لأنفسهم عن مجال آخر ٠٠ فهم يجب أن يجعلوا سلوكهم على وفق ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ ورسول الله تحمل ما تحمل ٠٠ ولقى ما لاقى ٠٠ ولم يلاقى أحد من علماء المسلمين عشر ما لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ والذين يحبون رسول الله ٠٠ ويحبون أن ينتموا اليه ٠٠ يجب أن يعلموا القضية الأصيلة ٠٠ أن

الرسول صلى الله عليه وسلم حينما شاء الله أن ينطلق بدعوته الى المدينة ·· لتكون المنطلقة للدعوة الكاملة الشاملة ·· وهو أنه حين خذ العهد على الأنصار ·· قال له الأنصار ·· ماذا سنأخذ اذا وفينا بهذا العهد ·· لم يدع رسول الله فى الصفقة شيئا من متاع الدنيا ·· ولا لزخرفه ·· حتى يكون الداخل على هذا المنهاج ليست الدنيا فى حسابه ·· فقال لكم الجنة ·· ولكم الجنه ليست صفقة رخيصة ·· ولكنها فى نظر قانون النفعية صفقة غالية جدا ·· لماذا ؟ ·· لأن الانسان بقضيه الاختناق من التجارة ·· لا يتاجر الا ليشترى على أمل ان يبيع باكثر ·· وما دامت التجارة تؤدى ربحا اكثر من الثمن ·· فتكون التجارة رابحة ·· فاذا نظرنا الى هــــذه الحياة لنربطها بقضيه الصفقه الاقتصادية فى قانون النفع الانسانى ·· نضرب مثل للانسان ·· ايها الانسان ·· أنت تتعلم حتى تبلغ سن الخامسة والعشرين ·· وفى بعض الاحيان يتطلب تخصصك ألا تنتهى من علمك فى سن الثلاثين ·· أنك حتى سن الثلاثين تقضيه فى مذاكرة وسهر وتعب ·· وليتك تعبت وحدك ·· بل تعبت أهلك جميعا ·· فربما ادخروا من أقواتهم ليقدموا لك سبيل العلم ·· أنت تعبت وأتعبت ·· وشقيت واشقيت ·· باى عمل فعلت هذا ·· لماذا ؟ ·· حتى توفر لنفسك حياة الى سن الستين أو الخامسة والستين ·· اذن انت تعبت ثلاثين سنه لتوفر حياتك لمدة ثلاثين سنه قادمه ·· ولكن هذا العمر الذى توفر فيه المتاع لنفسك بعد سن الثلاثين عمر متيقن ·· اى انك تعلم ذلك يقينا ·· انه عمر

نفترض أنه مضمون ‥ وحتى اذا تجاوزنا ‥ وقلنا انه متيقن ‥ فأن له بداية ‥ وله نهاية ‥ اذن فهو محدود حتى لو سلمنا بأنه واقع ‥ مع أنه فى الحقيقة لا يمكن أن يكون مأمولا ‥ لأن الأجل قد يأتى فى أى وقت قبل الثلاثين ‥ أو بعد الثلاثين ‥ وقد لا يمتد العمر لأكثر من الثلاثين بسنوات قليلة ‥ ثم على أى نوع من أنواع الحياة توطد نفسك فى هذه المدة المأمونة ‥ توطد نفسك على قدر امكانياتك ‥ ولكن رسول الله حينما قال ‥ لكم الجنة ‥ انما قال شيئا لا يمكن أن يحققه أى ربح فى الدنيا ‥ ولا أى نجاح فى أى صفقة تتبع قانون النفعية المادية ‥ لماذا ؟ ‥ لأن الحياة محدودة مهما طالت ‥ ويعدك الله بشىء غير محدود ‥ اذن من ناحية المقارنة الاقتصادية النفعية ‥ قارنت حدودا بغير حدود ‥ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ‥

هذا الكتاب

قضايا العصر الحاضرة في قلوب وعقول الشباب المسلم التي تطرح نفسها بإلحاح اليوم .. لماذا هذا التخلف الذى تعانى منه دول العالم الاسلامى .. بينما دول أخرى لاتدين بالاسلام أكثر تقدما ؟ .. ولماذا أصبح جزاء الاحسان ؟ .. ومادام الرزق مقدرا ومكتوبا للانسان .. فلماذا العمل ؟ وبعض الناس يقول أن الخمر لم يرد في تحريمها نص في القران .. فهل هذا صحيح ؟ ولماذا لم يذكر تحريم الخمر بنص مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ؟ .. وإلى أين ينتهى الأمر بالانسان وهو يبحث أسرار الروح بعد أن سجل القران حيرته منذ أربعة عشر قرنا ؟ ؟ .. وما هو الرد على العلماء الذين يقولون بأن الروح لها وزن ؟ وما هو الرد على من ينكرون وجودها ؟ ؟ وعن الاخرة .. مايعنى ان ينتبه الانسان بعد الموت أو السكون والصمت والنهاية ؟ وكيف وهو في الحياة بما فيها من السمع والبصر يكون نائما ؟ ؟ .. وما هو معنى الجنة ؟ .. واخيراً لو أن آدم عليه السلام لم يخطىء واستمر في الجنة .. لكان كل الناس في نعيم .. فلماذا الحساب والثواب والعقاب والخطيئة والتوبة والايمان والكفر .... ؟ ؟

هذه القضايا هي موضوع الحوار الهادىء مع فضيلة الشيخ الشعراوى وزير الأوقاف وشئون الأزهر والذى أجراه بذكاء الكاتب الاسلامى أحمد زين ..

ص ٣٠

مطابع المختار الاسلامى